

لمهدي المنتظر

دراسة في نشر تطور هذه الفكرة في الإسلام منذ نشأها حتى عصر ابن خلدون
وضمها

معتز بن محمود الأسمر

للوصول إلى درجته

أستاذ في التاريخ العربي

من

جامعة بيروت الأمريكية

١٦ / أكتوبر / ١٩٤٨

المقدمة

— — —

القسم الأول

- ١ الفصل الأول : - مدخل
- ٥ اسباب الخلاف
- ٨ من خلف النبي في حكم دولة المؤمنين
- ١٠ النجدة والحكم الاموي
- ١٢ الاتنيا موما والحكم الاموي
- ١٩ الفهم الذي ينبغي بالحكمة في حكم الشعب
- ٢٢ الفصل الثاني : - محمد ابن الحنفية العهدي الاول
- ٢٤ عبد الله بن الزبير
- ٢٦ محمد بن الحنفية
- ٣١ المختار بن ابي عبيد النخعي
- ٤٦ الفصل الثالث : - تاليز مهدي ابن الحنفية بعد وفاته
- ٥٠ كبير نزة
- ٥٣ السيد الحميري

القسم الثاني

- ٥٨ الفصل الاول : - من ابن جبره المختار بفكرة المهدي
- ٥٨ كسب " مهدي "
- ٦١ احتمال الكلمة بنير معانها " المسيحي "
- ٧١ الفصل الثاني : - مضافاً فكرة العادل (المسيح)
- ٧١ مسر مهدي الفكرة
- ٧٧ الفكرة في العهد القديم

٧٨	تطور الفكرة بعد العهد القديم
٧٩	المفسحون

القسم الثالث

* * *

٨٢	<u>الفصل الأول</u> - النبوة موصفاً والمهدية
٨٢	الزبدية
٨٥	العباسيون
٨٨	الملوك والحكم العباسي
٨٩	سلاح الدعابة
٩٤	سلاح القوة
٩٨	المتعدون العلويون في العهد العباسي
٩٩	محمد بن عبد الله (الفطر الزكية)
١٠١	موسى بن جعفر
١٠١	محمد بن القاسم
١٠٢	يحيى بن عمر
١٠٤	الامامية (الاثنا عشرية)
١٠٥	الطور الأول
١١٦	الطور الثاني
١٢٢	الغلاة
١٢٨	<u>الفصل الثاني</u> - السنيون موصفاً وفكرة المهدية
١٣٠	الفدلساني
١٣٢	السنياني
١٤٢	الطوسي

- ١٥١ انحماديين السنية وتكره المذاهب
١٦٤ الفرق بين الشيعية والسنية (للمهدي) الشيعية والسنية
١٦٦ علماء السنة ونقد الفكرة
١٦٧ خاتمة واعتذار

الفصل الرابع

ا	المصادر الاولى
د	المصادر الثانوية
د	(ا) العربية
د	(ب) العربية
هـ	(ج) الانجليزية

*

((القسم الأول))

((الفصل الاول))

مدخل

الطريقة التي يصل بواسطتها الحاكم الى كرسي الحكم .
والنوع الذي يلمحه في حكم الشعب . مشكلتان خطورتان شائكتان صحبة
الانسان منذ فجر التاريخ حتى يومنا هذا . ولقد قدم الانسان في
مختلف الاقوام والامم . والاجيال والعصور . لهاتين المشكلتين . حلولاً مختلفة .
عقلية ونظرية . تفاوت حظهما بين الفشل والنجاح تفاوتاً نسبياً . وما لا شك
فيه ان هاتين المشكلتين ستبقان ما بقي الانسان .

اما السمر في خطوط هاتين المشكلتين . وهدم مقدمة الانسان على
حلهما حلًا نهائيًا . فلما لهما من علاقة شديدة مع نفسية الانسان الممتدة وعقلية المتأخرة .
وما الفكرة التي نعالجها في هذه الرسالة الا مداولة من تلك المداولات .

كان النبي محمد المؤسس . بل الباني . لأول دولة اسلامية
سياسية - تلك الدولة التي كانت نتيجة التطور الطبيعي الصحيح للدولة
الدينية . او لنقل ان الاثنين نشأوا وتوحدوا ثم شبتا جنباً الى جنب . وهكذا
كان الاسلام ديناً ودنيا . كان محمد لبيل كل شيء . ومحمد كل شيء . نبيا وصاحب
رسالة دينية . وعلى هذه الصورة خرج على قومه في " مكة " يهديهم الى
دينه . ولما لم تجسده الطرق المسلمة في التبشير في ذلك المجتمع
المكي الذي لم يكن يلهم غير القوة . هجر محمد مسقط رأسه ليمود البها على رأس
جيش وفتحها بعد السيف . ودخلت مكة في دين الله . كما دخلت قلها - ولو بصور
مختلفة - تحتلقتها ومناستها " يثرب " . وهكذا انشأ محمد نفسه رئيساً
دينياً لقيم هام - بل لاهم قسم - في جزيرة العرب . والسعي جانب هذه
الرئاسة المدنية ظهرت له رئاسة اخرى ربما لم يكن يحلم بها
نظراً : الرئاسة السياسية لدولة عربية نبتة سيطرت ليها بعد على معظم

جزيرة العرب . وما لا شك فيه ان طبيعة تعاليم الدين الاسلامي مهدت الطريق لهذه السيادة الدنيوية . ونحن نؤكد مع بندلي جيزي^(١) ان هذه التعاليم كانت استجابة اصلاح لما كانت تعانيه بلاد العرب - سيما القريشيين - من فوضى دنيوية واجتماعية وسياسية واقتصادية : الجاهلية .

والاسلام - خاتمة الاديان - وآخر نذير للناس قبل يوم الحساب الربيب - يمتدد اوسع اعتقاد ان مصير الانسان في دار البقاء متعلق بأفعاله في دار الفناء . ولما كان الله يحب مصلحة عباده لذلك ارسل اليهم رسوله محمدا ليفتح رسالة تشمل مستلزمات النجاة التي يوجهها بدخول المؤمنين في غمر الله ورحمته ونجسوا من غمابه . لينال بسبب ذلك رضا الخالق في الدنيا والاخرة .

وهكذا أعلن الاسلام - من قرآن موحي به واعمال الرسول واتوالاته - فلسفة كاملة تشمل دقائق الحياة الانسانية وكيانها . وتسيطر على المؤمنين وتوجههم من المبدأ الذي للحد . ولقد كانت هذه الفلسفة مدبورة حكما متينا مكوكسا من السيطرة على مختلف مرافق الحياة الانسانية . من سياسية واقتصادية واجتماعية . هذا عدا عن طابعها الديني المهيمن .

ولما كان الاصل الذي تفسرت عنه خيوط هذه الفلسفة في نبضة النبي الحديدية . لم يكن من الغريب ان يصحح رجل الدين هذا في نفس اوتت رجل الدولة .

هذا وسارت امور هذه الدولة - في طريق كلها صعوبات - سيراً فطرياً وتدرجياً لتدبج بصعب عليها مهسا ان تُعَيَّن بالخط متى بدأ

(١) تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام ١٢ - ٣١ .

محمد بحكم وصي تم له الحكم . وبما يكن من امر قلقد تمكن من اجتياز
ثمنتك المشككتين اللتين بدأنا بهما حديثنا دون كبير عناء ، فمن الهداهة
ان يتأمن محمد تلك الدولة التي شيد صرحها العالي بنفسه . ومن الطبيعي
ان لا يُسأل حاكم كمحمد عما يفعل طالما أنه هو الواسطة التي تنقل الوحي
الالهي - الذي كان من ضمنه تحديد صلاحيات الحكم - وطالما أنه وحده
المكلف بتفسير هذا الوحي لجمهرة المؤمنين .

ومما هو جدير بكل اهتمام ما دفعه المجتمع الاسلامي - منذ
عهد قريب جدا بالنبي - حتى التولت الحاضر - من ثمن باهظ جدا
لصوة فهم تلك الحركة الاندلاية التي قام بها النبي . ان هذا المجتمع
وقع فريسة لعدة دجالين ادّعىوا الاصلاح وناموا باعباءه طليدين النبي
في كل شيء اللهم الا في صدق ايمانه ونبل مقاصده الاصلاحية .

فمن الغريب ان هذه الفلسفة التي جاء بها الاسلام والتي
شملت دقائق الحياة الانسانية وكيانها لم تتعرض بصورة واضحة لا بمحتورها
الشك لسألة الحكم . فنحن اذا تركنا الحديث النبوي جانبا - وذلك
لأننا لا نستطيع الاعتماد عليه في هذه المسألة لكثرة الوضع - ورجعنا الى القرآن
لا نجد فيه غير اشارات غامضة مبهمه قصرت بعد عصر الرسول عدة
تفسير متضاربة تفتش مع رغبات الاحزاب السياسية القططاحة على الحكم .

وهكذا " تولى النبي . ولم يعرف المسلمون . معرفة صحيحة
لا بتلوي البها الشك . رأيه في ولاية الحكم في الجاغة الاسلامية . فاصبحت
المسألة المهمة المتنازلة للاذهان المسلمين هي الفصل في مسألة الخلافة " (١)
" التي كان ذلك المجتمع الحديث العهد في حاجة ماسة اليها والتي اتمعت

(١) جولد تصدير . المتقدمة والتسمية في الاسلام . ص ١٦٩

(٢) - رونلدىسن دوايت م . . عليه النسيبة . (تحرير باج . م . . طبع مصر .
١٩٤٦ م) .

(٣) - لوتن . نان . السيادة العربية . (ترجمه عن الفرنسية ونقد وعلق عليه .
حسن ابراهيم حسن ومحمد زكى ابراهيم . مطبعة الممادة . مصر .
١٩٣٤ م) .

(٤) - لويس . برنارد . اصل الاساطيلية . (نقله الى العربية . خليل احمد
جلو . جاسم محمد البجب . طبع دار الكتاب العربي . مصر . (.

(ج) الاجنبية . -

- 1) Bermann, Richard A., The Mahdi of Allah, (Translated by Robin John), New York, 1932.
- 2) Breasted, James Henry; (i) The Dawn of Conscience, New York. London, 1944. (ii) Development of Religion and Thought in Ancient Egypt, New York, 1912. (iii) A History of Egypt, New York, 1912.
- 3) Browne, Edward G., A Literary History of Persia, Vol. II, New York, 1906, Vols. III & IV Cambridge, 1928.
- 4) Grunebaum, Gustave E. Von., Medieval Islam, Chicago, 1945.
- 5) Hastings, James, Encyclopaedia of Religion And Ethics, Edinburgh, 1915.
- 6) Houtama, M. Th.; Wensinck, A. J., The Encyclopaedia of Islam, Leiden, 1936.
- 7) Hurgrenje, C. Snouck; Verspreide Geschriften, art. III, Der Mahdi, Bonn und Leipzig, 1923.
- 8) Mamour, Prince P. H.; Polimics on The Origin of The Fatimi Caliphs, London, 1934.

الناس بوجودها بسرعة وعلانية • خصوصاً بسبب ردة الهمد العامة عن
المدن الجديدة • (١).

والواقع أن مسألة الخلافة هذه لم تكن أول اختلاف
مكتسوف وقع بين المؤمنين بعد وفاة النبي • فأول اختلاف كان حول
وفاة النبي نفسه ثم اختلفوا في موضع دفنه • وتمكن أبو بكر من وضع حد
للهذين المختلفين عندما اقنع المؤمنين وجهة نظره مستنداً على القرآن (٢)
كما تمكن فبط بعد من وضع حد للاختلاف الأهم الذي وقع حول مسألة
خلافة النبي بأن ضمها لنفسه ثم أوصى بها من بعده لعمر • وبما لا
شك فيه أن خلافة أبي بكر كانت انتصاراً • ضمن لعمل النبي دولته
واستمراره • (٣) وذلك لأن المصروف التي تلت وفاة النبي • من ردة يهود
انشقاق • كانت تتطلب حكمة الشيوخ وحزمهم • هذا بالإضافة لما كان لهذا الشيخ من
إياد يضاف على الاسلام • ولما كان مفروضاً أن من احترامه في قلب المؤمنين •

ثم تلت وصية أبي بكر لخطبه عمر ذو الشخصية القوية
الرهيبية التي تطلبتها حالة الدولة الإسلامية في عصر الفتح • وحل
أحوج للدولة في حالة الحرب من الدواكم المستبد المبادل ؟ وهكذا
كانت خلافة عمر انتصاراً آخر للاسلام ضمن له الوحدة الداخلية ما هيأ
للتقدمات الخارجية • المحكمة والسدينية • المدمن المصروف •

(١) Hurgronje, Vers. Geschriften, Vol. I, P. 148-149.

(٢) الهندادى • كتاب الفوق بين الشرق • ص ١٢ - ١٣ •

(٣) جولد سجدى • المفيدة والشهيرة في الاسلام • ص ١٦٩ •

ولما نزلت وصية عمر - ذات الانتخاب المحدود - فاز بمنصب الخلافة عثمان بن عفان ، أحد أفراد الأسرة الأموية ، التي كالتحت الاسلام كاحا شديدا . وحكم هذا الخليفة مدة ست سنين دون ان يصترى وحدة الاسلام اى انقسام ذى خطر (١) . والواقع ان هذا الرجل ضيف الشخصية تمكن من السيطرة طيلة هذه السنوات الست بفضل لؤة استقرار هيئة الخلافة التي خلقها وشبها في نفوس الناس سابقه على كرسىها . ولكن لما نادى عثمان في سياسة المحابة نحو اقاربه - او هكذا تراهى لاهصائه - وحاول الناس ان يعضوا حدا لهذه السياسة ، فسوف تصرلا لم يكن جديرا بالاحترام والمهابة ، تينك الصفتين اللتين سود الناس عليهما ابوبكر وعمر ... وهكذا قللت المعارضة هذا الخليفة معبرة من نفسها اصدق تعبير ، انها ثورة على الحكم البشورى !

اسباب الخلاف

لقد عاش المؤمنون في ظل دولة النبي عبدة مسطت بهم كثيرا من الواقع الى الخيال ، كانوا فيها سكارى بالله ، لاهم لهم الا ما يرضيه ويدخل جنته من صلاة وصيام وجماد . كما كان لوجود النبي بين ظهرانيهم خبر طائفة ما يغفلهم من الآخرة واهوائها . وذلك للصلة الحبة التي كان النبي واسطتها بين الله والمؤمنين . وهكذا عاش المؤمنون في عصر النبي حياة ملؤها الانتظار للآخرة وللآخرة فقط . لسذلك كان لولائه في نفوسهم اسوة الاكسر لدرجة انه لم يفلوا الاعتراف بولائه ، بل قالوا انه رفع الى السماء ، طبعاً على اصل ان يعود اليهم . لقد تعودوا حكم السماء ، حكم الضالمة . لسذلك اوجفوا خيلة من حكم الرجال . ومما يكن من امر قلقد كان لهم في خلبفتي النبي بعض ما يسلبهم من لقلدانه من لؤة شخصية وقادرة وتدين وتكشف وبعد من الدنيا . ومع ذلك فلم يكن الاطمئنان لحكمهما شاملا . فلما حكم عثمان وظهر مله الى ذويه ، وظهر اثر هذا الميل ... كشرت المعارضة له من انباها .

(١) البندادى ، الفرق بين الفرق ص ١٤ : التوبختي ، فرق الشيعة ص ٤

ثم هنالك العنصرية الفردية والقبلية والاثنية وصعوبة حكم هذا المجتمع الذي استطاع محمد صهره في بؤته واحدة بفضل شخصيته الفذة والدين الجديد . وبعد وفاة النبي مباشرة تحركت هذه الآفات الجاهلية وبدأت تظهر للعيان رويدا رويدا . وعلى الرغم من التركيز السامي الذي تمتع به ابوبكر وعمر فلقد تمتع في سدة حكمهما الكثير من المخازعات - التي بدأت بطريقة صامتة - والتي كانت نواة للانقسامات الكبيرة التي ظهرت فيما بعد . فاشتبك ابوبكر ، مثلا ، مع فاطمة بنت النبي وزوجة علي بن أبي طالب - كبير أبطال الانقسام - حينما طالبت بارتعاس من ابنيها ومنعها ابوبكر عنه بروايته عن النبي " ان الانبياء لا يورثون " (١) . واشتبك عمر مع خالد بن الوليد حين عزله عن قيادة الجيوش في معركة اليرموك . ولم تمتنع شخصية عمر القوية خالدا من التحديف على ذلك بقوله " عمر اقربني على ان تمام وهو له مهم ، فلما اتى الشام بوائده صار بشينة (٢) ومسللا عزلي " فلما احتج عليه احدهم قال " هذه هي القصة " اجاب خالد " كلا وابن الخطاب حي " (٢) . طبعا " كلا وابن الخطاب حي " !

فكانت عناصر التمسك هذه واخذت تلك رويدا رويدا حول موضوع واحد اتخذت المعارضة منه رمزا لها وحجة : ذلك الموضوع هو خلافة النبي في حكم الامة الاسلامية . اذ انه " قسما بين كبار الصحابة منذ بدأت مشكلة الخلافة ، حزب نظم على الطريقة التي انتخب بها الخلفاء الثلاثة الاول وهم ابوبكر وعمر وعثمان ، الذين لم يراع في انتخابهم درجة القرابة من اسرة النبي . ولقد فضل هذا الحزب بسبب هذا الاعتبار

(١) الهنداوى ، الفرق بين الفرق ، ص ١٣

(٢) ابن دريد ، كتاب الامتناع ، ص ٩٣ - ٩٤

(٣) البينة ، الارض الصالحة للبينة (ابن دريد ، كتاب الامتناع ، ص ٢٥٤)

ان يختار للخلافة عليا بن ابي طالب . ابن عم النبي وادنى قريب له .
والذى كان فضلا عن ذلك زوجا لابنته فاطمة . ولم يجد هذا الحزب
فرصة مواتية . يسمع فيها صوته عاليا . الا حينما كان على رأس الدولة
الاسلامية الخليفة الثالث عثمان (١) . وما لا شك فيه ان فكرة طاصرة
على وتفضيله على غيره لم تنشأ من العدم ؛ فمع ان الاسلام امر مبدأ
المساواة الا انه قوى ميول العرب الارستقراطية التقليدية عندما وضع
اسما جديدة للتفوق الاجتماعي ، العرب من النبي عن طريق الدم
والابن (٢) . وحظ علي من هاتين الميولتين قوى جدا . فهو ابن
عم النبي وزوج ابنته من جهة . وهو من جهة اخرى من وائل الذين
دخلوا في دين الله . وتدبته وخضله على الاسلام امران لا ينكرهما عليه منكر
ولامر ما اولغيره . تكثفت المعارضة - ذات العناصر الضاربة -
حول علي هذا الذي لم يحرك ساكنا اللهم الا بعد مقتل عثمان . او
على الاقل اننا لانعلم كثيرا من الدور الذي لعبه في توجيه هذه
المعارضة . وبعد مقتل عثمان انتخبت المعارضة عليها خليفة للمسلمين .
بيد ان معاوية الاموي ، حاكم سوريا الداهية ، لم يعترف بهذا الانتخاب
بل انه اعتبر عليا المسؤول الاول عن دم عثمان . ثم انه ذهب ابعد من
ذلك عندما اعلن من نفسه انه هو الخليفة الحقيقي . وهكذا التحم
الاثنان - ومن خلفهما انصارهما - في حرب طاحنة .

وفي فترة هذه المعركة ، الحربية والسياسية ، تمكن معاوية
بفضل مواهبه السياسية الفاتكة من شطط اتباع علي الى الشطرين الاثنيين
الذين تكونوا منها ، اتباع الوراثة الشرعية - الشيعة - تدفعهم
اليها الروح الثيوقراطية التي لا تعترف بنغير سلطة الله على الارض . ثم
جماعة الثوران الديني الذي انتهى بمصرف الخوارج المتطرف ، يدفعهم

(١) جولد تسيهر ، العنيدة والشريرة في الاسلام ، ص ١٦٩

(٢) Grunebaum, Med. Islam, P. 199

اليه عقلية البدو التي لا تعترف بأي نوع من انواع السلطة الدائنة (١). والواقع ان اجتماع هذين العنصرين في صعيد واحد امر غير طبيعي ابدا . فأولهما عنصر سلمي مغرق في العصبية - كما اظهر تطوره الطبيعي فيما بعد . والثاني ايجاسي مغرق في الاجبائية . ولم يجمعهما غير طبيعة المعارضة التي كثيرا ما تجمع الثقافات . كما وان هذه المعركة اظهرت للعبان نوع شخصية علي . فخرج الخوارج من زمرة اتباعه والثقات الشبهة ، ذوي العقلية السلبية ، عولوا لم يكن من عبث . فاليجل لم يخلق لقيادة الامم . بل لقيادة معاينة هدايا لا تهدف الى شيء . " ولما بحاجة الى بصيرة فائدة لتدرك ان هزيمته النهائية كانت امرا حتميا لا محير عنه . حتى اذا لم يكن ختبر فائده قد وضع حدا نهائيا للنزاع الذي شغل به ونهض بأعبائه . " (٢)

وهكذا . بعد مقتل علي . ضمن معاوية بن ابي سفيان الخلافة لنفسه . واستمر نتيجة علي في عدائهم له ولاسرة الاسوية الماكسة . وانضم اليهما الخوارج في هذا العداء . ولكن هذين العنصرين بقيا هذه المرة منفصلين بعد ان عرولا معركة اكيدة ان لا سطوحنة في نظامهما . بل انهما بقيا على عداوتهما التي بدأت علي علي فبعد الحياة .

من يخلق النبي في حكم دولة المؤمنين

ونتيجة لهذه الخلافات السياسية ظهرت في الاسلام ثلاث نظريات رئيسية حول مركز الخلافة :

فبالخلافة عند الخوارج " ينبغي ان تعتمد لافضل اهلها " الامة الاسلامية من طريق الاختيار الطلق من كل فرد . وبعد ان انشعروا حمية لاختيار الخليفة استخرجوا من هذه المقدمة كل النتائج المنطقية المعترضة عليها . فلم يفسروا الخلافة . كما كان الحال الى ذلك الوقت . على قوم نعموا وحدهم بهذا الامتياز . بل انهم انكروا على قبيلة قريش التي ينتمي اليها النبي . وذهبوا الى ان ((عبدا حبشيا)) لا يقل اهلية للخلافة واستعدادا

(١) Della Vida, Encyc. of Islam, Vol.IV, art. UMAYYADS, p.999.

لها من سليل اعظم القبائل حسبها ونسبها * . (١)

وهي عند الشيعة وراثية تيوقراطية في نفس النسي عن طريقي
ابنته فاطمة وزوجها علي بن ابي طالب ابن عمه . ثم تطورت هذه الفاعلية
التيوقراطية تطوراً كبيراً منذ كسوة في حبيته .

ولم يحرر الاجتماع الاسلامي ميول الزواج الجماعية كبير
اهتمام . ان تلك الآراء المغرقة في الديمقراطية كانت سابقة لاوانها .
لذلك * لم تتألف من الزواج جماعة محدودة ثابتة . كما انهم لم
يجتمعوا على خلافة توحد كمتهم وتجمع شملهم . بل اخذت جموعهم المشرقة
في انحاء الدولة برعاية رؤسائهم يظنون الولاء وناوئتهم وقد سارح
الى الانقسام الى الزواج الطبقات المدممة الرهينة الحال في المجتمع
الاسلامي . التي راقها كديراً ميول الزواج الديمقراطية واحتجحاتهم
على مظهر الحكم والولاية * . (٢)

كما وان ميول الشيعة التيوقراطية . لم تصادق نجاحاً
بذكر الله الا في العصور الطاغية . بعد ان امتزاجها الكثير من التطور
واتخذت من الحركات السوية سلاحاً لها . او قل بعد ان خرجت من
طابعها السلمي الفوق بدأت منه . هذا وفي الشيعة الذين تاهروا على روح
التسليم السلمي القديم . وتطوروا حسب مستلزمات - وهم الشيعة الامامية -
ابعد اهل الارض عن الحكم . وانتقدت حركتهم بنظرة خبالية لا تست الى
الواقع . صلة . بل هي غريب من الواقع الى الخيال . المهدى المنتظر !

اما اهل السنة فانهم اتخذوا نظريتهم حول الخلافة
من الواقع الذي كان حلاً وسطاً بين نظريتي الشيعة والزواج المشرقيين .

(١) جولد صبيح . العنيدة والشيعة في الاسلام . ص ١٢٠ - ١٢١

(٢) - - - - - ص ١٢٢

تلك النظرية التي بنيت اصولها وتطورها نتيجة لنجاح من نجح في الوصول الى كرسي الخلافة^(١) ، الخلفاء الاربعة اولا . ثم خلافة بني امية . ومن بعدهم بنو العباس . ولم تمر هذه النظرية الطريفة التي يحصل بها الخلفاء الى كرسي الخلافة كبير اهتمام بجانب اهتمامها بما على الخطيئة من واجبات دينية ودينية عليه ان يقوم بها . لذلك كان سواد اهل السنة يكثر حول اي خلافة تقوم . بينما يخاصها الشيعة - وفي العصر الاموي الخوارج ايضا - المداء .

ونهل ان نتقل من الكلام من هذا الانقسام حول فكرة الخلافة علينا ان نذكر . ولو بايجاز . فئة رابعة شذت فئات بمقدم وجوب هذا المنصب لا بالعقل ولا بالشع . والواجب عندها هو اخذ حكم الشع . " فاذا تواطأت الامة على المعدل . وتنفذ احكام الله تعالى لم يحتج الى امام ولا يجب نصبه " .^(٢) وربما كان الدافع السوي دفع هذه الفئة الى هذا الاتجاه هو ما وصل اليه المسلمون من اشتقاق حول منصب الخلافة هذا . ولقد ذابت هذه الفئة على مر الايام كما ذابت فرق الخوارج . وفي الصراع محتصد ما بين الشيعة والخلافة (ومن ورائها اهل السنة) . صراع كانت لكثرة الطهدة . ظهورها وتطورها - ظهورا من مظاهرو .

الشيعة والحكم الاموي :

وما لا شك فيه ان انتصار الامويين في الوصول الى كرسي الخلافة كان ضربة ناصية اصعب بها اشباع على . لذلك ناصب هؤلاء

(١) راجع : التوختي . في الشيعة . ص ٦ وما يليها .

(٢) ابن خلدون . المقدمة . ص ١٢٢ . راجع ايضا : التوختي . في الشيعة . ص ١٠ .

الغزالي . فضائل الباطنية . ص ٥٩ .

تلك النظرية التي بنيت اصولها وتوحيدها نتيجة لنجاح من نجح في الوصول الى كرسي الخلافة ^(١) ، الخلفاء الاربعة اولا ، ثم خلافة بني امية ، ومن بعدهم بنو العباس . ولم تدور هذه النظرية الطائفية التي يمثل بها الخلافة الى كرسي الخلافة كغير اهتمام بجانب اهتمامها بما على الخلافة من واجبات دينية ودينية عليه ان يقوم بها . لذلك كان سواد اهل السنة يلتفت حول اي خلافة تقوم ، بينما يناصرها الشيعة - وفي العصر الاموي الخوارج ايضا - المداء .

وتقبل ان ننقل من الكلام عن هذا الانقسام حول فكرة الخلافة علينا ان نذكر ، ولو بايجاز ، لغة رابعة شذت فقالت بعدم وجوب هذا المنصب لا بالعقل ولا بالشع ، والواجب عندها هو اضافة حكم الشع ، " فاذا تواطأت الامة على العدل ، وتنفيذ احكام الله تعالى لم يحتج الى امام ولا يجب نصبه " ^(٢) . وربما كان الدافع الذي دفع هذه الفكرة الى هذا الاتجاه هو ما وصل اليه المسلمون من انشقاق حول منصب الخلافة هذا . ولقد ذابت هذه الفكرة على مر الالام كما ذابت نوى الخوارج ، وبقي الصراع محتد ما بين الشيعة والخلافة (ومن ورائها اهل السنة) ، صراع كانت فكرة الهدية - ظهورها وتطورها - ظهورا من مظاهرها .

الشيعة والحكم الاموي

وما لا شك فيه ان انقسام الامويين في الوصول الى كرسي الخلافة كان قضية فاضية اصيب بها اشباع على ، لذلك ناصب هؤلاء

(١) راجع : التوختي ، فري الشيعة ، ص ٦ وما يليها .

(٢) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ١٩٢ ، راجع ايضا ، التوختي ، فري الشيعة ، ص ١٠ .

الغزالي ، فضائح الباطنية ، ص ٥٩ .

الخلافة الاموية عند المدة . ومن الطبيعي ان يتقابل خلفاء بني
امية هذا المدة بغيره . فمئذ عهد بكر بدأ معاوية . بعد ان استقر
له امر الخلافة بعمل القتل والتشريد في اتباع علي . حتى بقي السبع
البعيد حيث ارسل قائده سيار بن نزار لعمل القتل بهم (١) . ولم يترك
معاوية . ومن خلفه اهل الشام . اى ومجيلة لوضع حمد لحركة التشيع
الا وتعلوها " ثم ارتقى بهم الامر في طاعة ان جعلوا لمن علي سنة ينشأ
عليها الصغير وذلك عليها الكبير . قال السمودي وذكر بعض الاخباريين
انه قال ليجل من اهل الشام من زمانهم واهل الراي والمثل منهم
من ابو تراب الذي يلحقه الامام علي الصغير . فقال اراه لصا من لصوص
الفتن " (٢) . كل هذا ودما الشبهة تغلي . وصدورهم تغلي . فندا
على هذه الدولة التي لم تكن في نظريهم شريعة . واخذوا يتحنون
الفرس للانقضاء عليها . ولي عهد يزيد بن معاوية تحبوا للانتقام فوصة
" دل لاختيارهم لها على الظير وقصر النظر " (٣) . اذ انما انتهدت
بانكسارهم الشيعي في معركة كربلاء التي قتل فيها الحسين بن علي
ومعظم من كان معه من الشيعة واهل البيت . وما لا شك فيه
ان معركة كربلاء هذه كانت نقطة تحول في التاريخ الشيعي . فهي آخر
عمل ايجابي قال لبطاع الشيعة . وبعد هذه المعركة سار ذلك الاجماع
في مضار العمل الميلي الصرف واقرى فيه . بينما اخذ يعتبر كل حركة
ايجابية يقوم بها احد افراد البيت الملقى خروجا عن التشيع . لقد

(١) ابن دهر . كتاب الاشتقاق . ص ٢٢

(٢) السمودي . مروج الذهب . ج ٥٥ . ص ٨٠

(٣) جولد تسيدر . المفيدة والشهيدة في الاسلام . ص ١٢٦

لأمر الشبهة في هذه المعركة ضلهم أمام قوة الأمويين ، واختلفت قوتهم من على سطح الأرض لتعمل تحتها ، وأول حركة ممكنة قام بها رجل باسم العلويين بعد معركة كربلاء - ثورة المختار في العراق للأخذ بثأر الحسين باسم محمد بن الحنفية - فأولها انحراف الشبهة أكبر ما قاموا به الأمويون .

وهكذا يحدث الشك بين هذين البيتين الأموي والعلوي ، وكان الواحد منهما يعتمد - بشعور وسدون شعور - فكرة الثاني بنسبتي الوسائل ، حتى أن أعمالهم وأقوالهم كانت أبدا تتخذ شكل التناقض ، اهتم الأمويون بأمر الدنيا فأغرق العلويون بأمر الدين ، وأعار الأمويون السيادة جانبها كبيرا من اهتمامهم ، فأصرف العلويون في البعد عنها ...

الانتهاء بموعنا والحكم الأموي :

إن بذور الزهد والعهد وجدت في الإسلام منذ نشأته فتأدية الزهد من حياة النبي وأصحابه أمر معروف ، واستعمل حناز الخناتم في الجهاد ترك آثارا قوية أدت إلى الفرق ، ومنذ بدء الحكم الأموي أخذ هذان المظهران من مظاهر الحياة الإنسانية يلتفتان شيئا فشيئا ، بل أصبحا متناقضين - لغوا اتباع كل منهما في السير في طريقيه : سار جماعة الشرف الدينيون في طريق الدنيا ، وسار جماعة الزهد في طريقيهم ، حتى تطورت حركتهم - شيئا بعد - إلى التصوف . وشهد العصر الأموي أشد مراحل هذه الحركة خطورة (١) ولقد كانت حركة الزهد هذه عظيمة الشبه بحركة التشيع من حيث

(١) جولد تمبر ، العنيدة والشريعة في الإسلام ، ص ١١٩ - ١٣٦ .

فان فلوتن ، السيادة العربية ، ص ٢١ - ٢٦ .

مطلبتهما . بل قل انهما فاقتهما في المصلحة . وكما نظر المسلمون
الى علي كنههم الاعلى للاسام الحاكم . وضافوا اليه الكثير من
القداسة . كذلك نشر هؤلاء الزهاد الى دولة الخلافة الراشدين بعد
ان احاطوها بهالة من التقدير . ونظموها اليها من زاهتهم الزهيدة
نحسب . وكما سار الامويون قدما في طعنهم السنيي ازداد
استياء هؤلاء الحالمين السليبيين منهم ومن دولتهم الدنيوة .
وازدادت دولة الراشدين في نظريهم قدسية وسعوا . وما لا شك فيه
ان رأى هؤلاء لانتفاء الزهاد في متالبة دولة الخلافة الراشدين قد
تغلب على معظم الآراء . وحتى في بعض الدوائر الشيعية ، بالخوارج الشيعي
ابن الطفلي يقول عن هذه الدولة " واعلم انهما دولة لم تكن من
طراز دول الدنيا وهي بالامر النبوة والاحوال الاخيرة اشبه والحق في
هذا ان زهدا قد كان هي الانبياء وهدىها هدى الاولياء " (١) . كما وانهم
مسؤولون - بالاشتراك مع فيهم من اخصام بني امية - عن الفكرة
الخاطئة التي صوروا بها الامويين كأعداء للدين الاسلامي . وبالرغم
من قول ابن الطفلي في معاوية انه كان " مصروف الهممة الى تدبير
امر الدنيا بدون عليه كل شيء " اذا انتظم امر الملك " (٢) . فلا يحكما
الحكم على هذا الجيل بالخروج من الدين كما فعل الزهاد
(والشيعية والخوارج) . وما لا شك فيه ان الخير الذي قرأه المصمدي

(١) الفخري في الآداب السلطانية . ص ٨٩ .

(٢) - - - - - ص ١٣٠ .

نقال يا ابن اللخنا ذاك محمد بن علي - هذا وآء اخدمهم وهو يتسبب
(١) بهذا الدن .

وامثال ابن الحنفية - سيما ابناه كبار الصحابة والتابعين -
في هذا العصر كثيرين جداً . ولكن طبيعة النار في اهتمام الحاكم
وتحميله تبعات اعمال الرعية . والمعارضة التي لا ترحم ولا توى فسير
المطالب . وعدم تقدير القصيري النظر للظروف الجديدة مع مخالفتهم
في الرفع من شأن عصر الراشدين ... كل هذا حدا بهم الى
الاسراف في نقد ومعاداة بني امية ما ادى الى عدم تقدير الخدمات
الجليلة التي قدموها للاسلام .

والواقع ان الحكم الاموي كان صليحة قاسية للعناصر الثلاث
التي عارضت الخلافة الاموية ؛ فقد كان للطابع الديني . والنظام
والعريم الوراثي الثابت على دست الحكم ... كان لهذه المسائل التي سار
عليها الامويون في دولتهم . اوقم الاثر في طبيعة الخوارج النوار الدينيين
والكاهنين لكل نظام ديني . والمطالبين بانتخابات ديمقراطية حرة
للحصول الى كرسي الخلافة . ذلك الكرسي الذي لهجوه على انه
ديني وديني فحسب . اما اولئك الدالمون السليبيون . بقايا الذين
لم يحترفوا بصوت محمد . والذين بنيت هيولتهم معرة تنظر الى دولة
الراشدين الخالصة في نظريتهم (الانتباه والزهاد) . او الى شخصية
علي التي كانت ابدا في صعود (الشيعة) . نقول اما اولئك
الدالمون فانهم دأبوا على حملهم ينتظرون دولة الله على هذه الارض .

(١) كتاب الطبقات الكبير . ج . ٥ . ص ٨٥ .

وما زاد في نوبة هذه المعارضة للحكم الاموي حدة تايخ عائشة
 معاوية ، بني امية الذين حاربوا الاسلام ونسبه حتى آخر لحظة ، والذين
 لم يحطم عهدهم ابو صفيان اللهم الا بعد فتح مكة وانتصار الاسلام النهائي .
 اضيق الى ذلك كون مؤسس هذه الدولة ، واول خلفائها ، لم يكن من
 قدامى صحابة النبي . فكيف يخط رجل كهذا امارة المؤمنين ؟ اضيق
 الى هذا كله الظاهر الدستوري الجديد الذي انطبعت به هذه
 الدولة * فالخليفة لم يعد الخلف او المتم لمعة محدودة ، التي
 يحددها منذ نشأتها . فهو لذلك شيء آخر ، انه الشخصية
 البارزة في العالم العربي ، الا في بين شعب القبائل في القوة العسكرية
 والروابط العائلية والنفوذ والمظهر الفردي ، وهو في الواقع ، وان لم يكن ملقب
 رسمياً ، * ملك * او بالاحسن * خليفة * بغيرهم الكلمة الاخيرة (١) .
 وهكذا ، ومنذ عهد مبكر في الحكم الاموي ، اتسمت
 شدة الخلاف بين الدولة ومعارضتها : سار الامويون حسب السياسة
 الواقعية التي انتهجوها . وسار كل فريق من فريق المعارضة الثلاثة
 حسب توجهاته ومطالبها : اما الخوارج فامضوا لانفسهم حروب انتخاب
 رؤسائهم ، الذين اعطوا القتل لينا بينهم من جهة وبينهم وبين
 الخاضع الاموي من جهة اخرى . واما اشياع علي - بعد مقتل
 الحسين - فاستردوا صلتهم بالله عن طريق صفات وميزات الهبة منحوها
 للائمة من ولد علي : امامة الهدى لهذا هذا وتعرض الزهاد والانتقيا
 لهذا بهذا من هذه الدنيا الى الله الذي اتوا بها بينهم وبينه صلة
 بانسنة : السوية !

(١) Della Vida, Encyc. of Islam, Vol. IV, art. Umayyads, p. 999.

وما لا شك فيه ان هناك تفرقا كبيرا بين مفهوم دولة الاسلام عند المعارضة وعند الامويين ، عند الحالمين التالبيين الذين لم يجربوا الحكم ، وعند الواقعيين الذين اصبحوا مسؤولين عن ادارة دولة الدولة الاسلامية . لقد كانت هذه المعارضة تحلم بمطابقة ليست في هذا العالم ، بينما انهمك الامويون في خدمة ملكة الواقع . لقد قطع الامويون قطعا صريحا في امر وفاة النبي ، بذلك انقضت كل الصلات الحميمة بالخالق . وبوفاة النبي كل الدين الاسلامي الذي لا تشك بصدقه ايمانهم فيه رغم مزاعم المعارضة . وانتهجوا لخدمة هذا الدين نهجا جديدا بكل احترام وتقدير ، وهل هناك افضل من تشويه في خارج حدود دولة الاسلام ؟ ولما كانت الدولة هي الجبل الوحيد لتشر هذا الدين لذلك ترونا تشويه بتوسع الدولة ، والدولة لا تستطيع ان تكون مهيمنة على داخلية الدولة ، والدولة لذلك بعيد ان احزاب المعارضة لم تقدم ذلك بل انصا كانت ابدا مصدر قلق لهذا الوضع الداخلي ، لذلك ظهر اليهم الامويون كأعداء للدين والدولة .^(١) والامويون اذا ما اقدموا على قتل الحسين وزيد او اذا ما حولوا النار عن الحج الى الكعبة ، او حتى اذا ضربوها بالعجنين او قتلوا اي عدد من النوار المسلمين ، فهم يحتفدون انهم بذلك يخدمون دولة الاسلام ابتغاء مرضاة الله . ولقد امتنعت اعمال الامويين هذه لعلة الاجيال القادمة ، بله المعاصرة ، هناك ما يقوله البيروني في معركة الحرة " وهي التي قتل فيها امية اهل المدينة وانتهبت اموالهم وهتكست ستور المهاجرين والانصار ونفذت نساوهم فلمن الله من لعنة رسول الله صلعم وآله من المحدثين في المدينة " ^(٢)

(١) جولد تبيد ، العبيدة والشيعة في الامام ، ص ٧٠ - ٧٢ .

Della Vida, Enoye. of Islam, Vol. IV, art. Umayyads, p.999.

(٢) الآثار الباقية ، ص ٣٢٥

هذا وسار خلفا بني امية في ملاحقة معارضي دولتهم
ولم ينفذ عنهم غير الخليفة التقي عمر بن عبد العزيز الذي بصره دلا لهذا
بأنه كان " ذا صلات سامية وانه كان موصوفا بشعور حي بالحقائق " (١)
غير ان سياسة التسوية التي انتهجها بقصد توحيد صفوف الاسلام
سرت من فوق الرؤوس دون ان تتحرك اثرا عمليا . هذا اذا نحينا جانبا
الذكوى الطيب الذي نالته شخصية هذا الخليفة النور اثيره المعاصرة
واحدة في تسمية الحكم الاموي البغيض . فوجد الانتباه في حكمه ما يذكرهم
بحكم الراشدين من تشديد في امور الدين وبمعد من الدنيا . اذ
انه عزل من عائلته من كان يظهر العصية " (٢) . ونكح عمر امال اهل
بيته وسماها مظالم وكب الي عائلته جميعا اما بعد فان الناس قد اعادهم
بلا . وندة وجور في احكام الله وسفن سيئة مستفها عليهم حال السوء
فلما قصدوا قصد الحق والرفق والاحسان . ومن اراد الحج لعجلوا عليه
عطائه حتى يتجهز منه ولا تحدثوا حديثا لبي قطع وصلبا حتى توافروني . (٣)
كما وحاول استقالة شعبة على بشنى الوسائل . فامر عامله على
المدينة ان يفرق في ولد على عشرة آلاف دينار (٤) . ورد اليهم اية لاداء (٥)
واوقف عمادة شتم على الطاهر وكب بذلك الى الآفاق (٦) . فاستحق
بذلك عطف الشبهة ومعبتهم بهمة ولانه رثاه بعض شعراءهم مثل كثير (٧)

(١) Della Vida, Encyc. of Islam, Vol. IV, art. Umayyads, p. 1002.

(٢) البهوتي . تاريخ . ج ٢ . ص ٢٦٢ .

(٣) - - - - - ٢٦٦ - - - - -

(٤) السمودي . موج الذهب . ج ٥ . ص ٤٢١ .

(٥) البهوتي . تاريخ . ج ٢ . ص ٢٦٦ .

(٦) السمودي . موج الذهب . ج ٥ . ص ٤١٩ . ابن الطقطي . الفخر في الآداب

السلطانية . ص ١٥٤ .

(٧) البهوتي . تاريخ . ج ٢ . ص ٢٦٦ .

والشيخ الرضي (١) . ولقد بالغ الشيعة في احتدام هذا الرجل حتى ان كبار محدثيهم رووا الاحاديث النبوية (او العلية) التي دخل عبر في سلسلة روايتها (٢) وقالوا في سورة * ان اهل بيته مستوفى خروفا من ان يخرج الامر منهم . (٣)

ونحن اذا استثنينا هذا الخليفة التقى الضام . نعمتهم القول ان خلفاء بني امية ساءوا في معاملتهم لاحزاب المعارضة مسيرة لا هوادة فيها .

الفسح الذي بنهجه الخليفة في حكم الشعب

ان اسباب المعارضة التي ذكرناها حتى الان تنحصر في مسألة * الطريقة التي يصل بها الحاكم الى كرسي الخلافة الاسلامي . تلك الاسباب التي تكثرت حول مشكلة الخلافة . ولعل ان نذكر شيئا من مجموعة اخرى من الاسباب علينا ان نذكر ان الاسباب الاولى لم تزل من الوجود . انها بقية حية تعمل جنبنا الى جنب مع اسباب المعارضة التي ظهرت بعدها . وربما كانت نتيجة لها . والتي التفت معها حول مشكلة الخلافة .

اما المجموعة الثانية فكانت بالدرجة الاولى ناتجة من

ثورة الشعوب المعكونة ضد ما سموه ظلم الولاة والخلفاء . فهي

(١) ابن الطلقاني . الفقه في الآداب السلطانية . ص ١٥٥ .

(٢) راجع : الكلبني . اصول الكافي . ص ٤١٢ • ٤١٣ • ٥١٢ • ٦٢٦ .

(٣) البخاري . تاريخ . ج ٢ . ص ٣٧٠ .

لذلك اسباب اقتصادية واجتماعية ودينية وشعبوية . ولقد بدأت اسباب المعارضة هذه بقتل عمر بن الخطاب ، الذي قتله مولى فارسي ظلوم ثم استمرت في الثورة ضد عثمان ، غير انها لم تبدأ بصورة جذبة الا في ثورة المختار بن عبيد الثقفي الذي كان معظم انصاره من الموالي المظلمين من ضرائب اسيادهم وجزيرة الدولة الاموية ، انها ثورة في سبيل تحقيق العدالة الاجتماعية .

ونحن نصلح ان نقسم ثوارى هامة بين هاتين المجموعتين من الاسباب :

المجموعة الاولى قامت على اكتاف العرب ، بينما قامت الثانية على اكتاف غير العرب سيطا الفارسيين .

المجموعة الاولى قديمة ، فبدعي الشيعة ان الخلافة على خلافة النبي ظهر وهو على قيد الحياة . بينما ظهرت الثانية للمعيان انثاء ثورة المختار .

الاسباب الاولى سياسية محضة ، بينما سرعان ما تطورت الثانية الى اسباب دينية صرفة .

وهكذا اختلطت هاتان المجموعتان من اسباب المعارضة والتفتا حول مسألة الخلافة . واصبح الوضع في العصر الاموى - ومن بعده العباسي - مؤلما حقا ، حكومة تحكم امراطورية واسعة يعتقد عدد لا بأس به من افراد شعبها بعدم شرعيتها ، ويشتكي هؤلاء تبعة ما يعانونه من ضائقات اقتصادية واجتماعية وعنصرية ودينية عليها . وينتس بين جموع هذا الشعب المتبرم اناس يدعون الاصلاح ، وهم ابعد اهل الارض عنه ؛ انهم انانيون قنصيون لا يهدفون الى نسيء انهم الا الوصول الى كرسي الحكم . وحتى يتمكنوا من كسب اعوان

بملأوا على ظهورهم الى اهدافهم المنشودة اتبعوا اسوأ الطرق ،
التهويل ! اخذوا يتكلمون لهم باسم الدين الذى بنى عليه ذلك
المجتمع ، اولئ انهم اخذوا يستغلون الدين لصالحهم الشخصية
السياسية ، راحوا يصورون لهم ان الارض قد " ملئت ظلما وجورا "
وانها ستبلى كذلك بل انها ستزداد ظلما فوق ظلم وجورا على جور ،
حتى يملأوا هم ، او مشيخوهم الى كرسي الخلافة ، " المهدي المنتظر "
عندها " مستعلا الارض نسطا وعدلا " (١) فاعذا كانت النتيجة ؟ نيام
مضرات من هؤلاء المتهمدون بثورات عديدة انهكت العالم الاسلامي ؛
فتسل معظمها ، ونجح البعض . فاعذا عمل ؟ انه " ملأ الارض ظلما
وعدلا " بقدر ما " ملئت ظلما وجورا " (٢) اولئ انهم هم الذين
" ملؤوا الارض ظلما وجورا " فالثورات المتعددة ، والحروب المتكررة
كانت والا بالدرجة الاولى على ذلك الشعب الذى تطوعوا لرفع نير
الظلم عن كاهله (٣)

((الفصل الثاني))

محمد بن الحنفية

المهدي الاول

تجمع المصادر: التي رجعنا اليها ان محمد بن الحنفية هو اول
نظم في التاريخ الاسلامي حُلّ ، او بالاحرى حُلّ ، اثناء حياؤه لقب " المهدي "
بمفهومه " المسيحي " (x) . ولما ظهرت هذه التسمية لابي مسرة اثناء ثورة

(x) نذ عن ذلك فان فلوتن (السيادة العربية ص ١٤٤ - ١٤٥) حيث يقول :
" روى ابن سعد حديثا جاء فيه ان موسى بن طلحة هو المهدي المنتظر " . اما الخبير
الذي يشير اليه فان فلوتن فهو : (ابن سعد ، كتاب الطبقات الكبير ، ج ٥ ، ص ١٢٠ - ١٢١)
" قدم الكتاب المختار بن ابي عبيد الكوفة فهرب منه وجوه اهل الكوفة فقدموا علينا هاهنا البصرة
ولبهم موسى بن طلحة بن عبيد الله قال وكان الناس يرونه زمانه هو المهدي قال فغضبهم فاس
من الناس وشبهه فيمن غنمه فاذا نهم طول السكوت طيل الكلام طويل الحزن والكآبة
الي ان قال يوما من الايام والله لان اكون اعلم انها فتنة لها انفساء احب الي من ان
يكون لي كذا وكذا واعظم الخطر فقال رجل من النعم يا ابا محمد ما الذي تهرب وانه
ان تكون فتنة قال اهرب الهرج قال وما الهرج قال الذي كان اصحاب رسول الله
صلعم يعدونون القتل بين يدي الساعة لا يستقر الناس على امام حتى تقوم الساعة
عليهم وهو كذلك واهم الله لئن كان هذا لوددت اني على راس جبل لا اسم لكم صوتا ولا الي
لكم داعيا حتى ياتي بي داعي يبي " . فلا ذكر في هذا الخبر كما نرى ، الى مهدي منتظر
وكما في الامر ان موسى بن طلحة (الخوفي سنة ١٠٣ - ١٠٤) هذا رأى من الحكمة بعدم
الانغماس في تلك المشاكل التي انغمس فيها الناس ، فوعده بعضهم بأنه مهدي ، او المهدي
اي انه لم ينغمس في تلك المشاكل ، التي لا اكبر ولا اقل . ونستطيع لذلك ان نحكم على فان
فلوتن بأنه اماء لهم هذا الخبر لفهمه على انه قيل فيه بمعنى " مسيحي " . ا . هـ

المختار (٦٦ - ٦٨٥) في العراق - تلك النوبة الشيعية التي ازكى نارها من جديد مقتل الحسين بن علي في معركة كربلاء (٦٦ - ٦٨٥) - لذلك كان من الضروري ان ندرس هذه النوبة بشيء من التفصيل . ولعلنا هذه النوبة بحركة محمد بن الحنفية من جهة ، وحركة عبد الله ابن الزبير من جهة اخرى . لذلك كان علينا ان ندرس ثلاث حركات كما تشمل في ثلاثة اشخاص هم ابطال لها : محمد بن الحنفية ، المختار ، عبد الله بن الزبير ، والعلاقة القوية بين هؤلاء الثلاثة من جهة والدولة الحاکمة من جهة اخرى وجب علينا ان ندرس بشيء من التفصيل تلك الفترة العصيبة من تاريخ الدولة الاموية . التي تبدأ بامتنعاد الحسين وتنتهي باعتراف ابن الحنفية بخلافة عبد الملك بن مروان (٧٣ = ٦٩٢) (x) .

ان هذه الفترة من اعصاب الفترات في التاريخ الاسلامي . اربعة اشخاص (علي الاقل) يثارون الخليفة الاموي خلافة . كلهم يريدونها لنفسه ! فأى نوضى دينية وسياسية واجتماعية واقتصادية ونسج فيها العالم الاسلامي . وأى أزمة نفسية كان يعانيها مسلموا تلك الفترة سيما الانتباه والزهاد منهم ! وأى فجوة كان بينها المؤمنون

(x) وفي الدور الهائل الذي لمسح الخواج في هذه الفترة . غير اننا سوف لا نسيرهم كبير اهتمام وذلك لعدم تركهم اثرا مباشرا في ظهور وتطور فكرة الهدية التي نحن بصدددها . وما لا شك فيه انه كان لحركاتهم اثرا غير مباشر في ذلك . فعالة القلق - التي كالتخايج وحيروهم من اهم بواعثها - كانت من اهم البواعث على ظهور وتطور فكرة الهدية .

حينما كانوا يغمون من الحج الى الكعبة ويردون عندئذ الى عديبة بهت المفندر (١) ؟ وأي اسي كان يتمرب الى نفوسهم حينما يسمح لهم بالحج الى مكة فيكون بأمرهم تغرق المسلمين كما حدث سنة ٦٨ هـ .
اذ بهذا . وقت اربعة الهة بمحرفات محمد بن الحنفية في اصحابه وابن الزبير في اصحابه ونجدة بن عامر الجهمي ولوا بني امية وقال المصاوي بن هند بن نجر وتشعبوا فكل قبيلة بهذا اسمير المؤمنين . (٢)

حالة مؤلمة تتطلب العلاج العاجل . ولقد بعث الامويون الواقفين عنه عند وجل حازم يخاطب الناس بهذا الكلام .
" والله لئن بعث لكم لانبيؤكم نجر المود ولاؤدبكم أدبا سوى هذا الأدب " . (٣) وكان لهم ما ارادوا . فسرعان ما اخذ الحجاج بن يوسف يودب الناس بغير ادبهم وهذا الطريق لمباداة الدولة الطلقة .

والآن وبعد هذا التمهيد نعود الى ابطال هذه الفترة التي نحن بمقدورها .

عبد الله بن الزبير (٤)

تألف قرشي نازح الامويين الخليفة طيلة تسع سنوات .
ولد سنة (٦٢٢ = ١) وقتله الحجاج سنة (٧٢ = ٦٩٢) . كان من

(١) البغدادي . تاريخ . ج ٢ . ص ٣١١ .

(٢) = = = = = . ابن سعد . كتاب الطبقات الكبير . ج ٥ . ص ٧٥ .

(٣) المصمودي . موج الذهب . ج ٥ . ص ٢٩٨ .

(٤) طبعة مع التصريف عن . M. Seligsohn, Encey. of Islam vol. 1, art. ABD ALLAH B. AL-ZUBAIR, p. 33.

عائلة من ارفع عائلات فيهر ، وكان ابو من اتريه النسي . واهله
اسماء ابنة ابي بكر . شهد مع ابيه معركة السيروك ثم حارب مع ابن
الدامر في مصر . هذا ولم يدورا كبيروت في فتح القلعة ثم حارب
في خراسان . وفي حادث مقتل عثمان كان من اهم الدافعين عنه .
وفي معركة الجبل كان قائد المشاة في جهز غزاه عائشة .

وفي حكم معاوية اخفى صاحبنا طمعه بالخلافة .
ولكنه رفض طلب معاوية بالاعتراف بولاية العهد ليزيد . وبعد وفاة معاوية
اعلن عداوة يزيد ورفض ان يقسم له يمين الولاية . ولما علم ان يزيد امر
بقتله هرب مع الحسين الى مكة .

وكان عبد الله يخشى طامعة الحسين فنصحه . وهو
بنو الفخر . بالتوجه الى الكوفة . ولما وصلت اخبار مقتل الحسين
الى مكة تمكن من الحصول على بيعة اهل مكة له بالخلافة (٦١ -
٦٨٠ - ٦٨١) . ثم تار اهل المدينة ضد الاسويين وانفسوا له .
وهكذا ضمن لنفسه الخلافة في الحجاز .

وعند وفاة يزيد بن معاوية (٦٤ - ٦٨٣) دانت له
بالطاعة واعتبرت بخلافته العراق وجنوب بلاد المغرب وتسم كبير من
سوريا . ثم ارسل دعائه الى مصر وفلسطين واسكن اخيه يدعون الناس
لخلافته . غير ان انكسار قواته ومقتل قائده . الضحاك النهدي . في
معركة مرج راهط (٦٤ - ٦٥ - ٦٨٤) كان ضربة قاضية لخلافته .

اتماثل ذلك اشتد ضغطه على الخوارج . وفي السنة
الثالثة سجن محمد بن الحنفية وكل عائلته وسبعة عشر شهيدا من
اشياف الكوفة قرب بدر زيم (١) . ثم كان لانهزام ومقتل اخيه مصعب

(١) راجع السمودي . موج الذهب . ج ٥ ص ١٧٧ .

لم تقتل اجماع الشيعة . فذهب فريق آخر الى ان الامامة من بعد الحسين لا يستلزم علي الملقب بزين العابدين الذي وصف بكثرة التمسك والتزهد لعدم الاندراط^(١) والذي اصبح فيما بعد أحد الأئمة الاثني عشر . هذا وسنذكر هؤلاء من امامة ابن الحنفية^(٢) . ويذكر الكلبيني رواية تذهب الى ان ابن الحنفية حاول - عقب مقتل الحسين - اقتاع علي هذا بأن يتنازل له عن الامامة لعدة سنين . ولما رفض علي ذلك احتكبا الى الجبر الاموي . فلما طأ محمد الجبر عمن يكون الامام بعد الحسين لم يجسه . ولكن لما ماله علي بن الحسين " تحريك الجبر حتى كاد ان يزول عن عودته ثم انقذه الله عز وجل بلسان عبي بن ميمون فقال اللهم ان الوصية لك والامامة بعد الحسين ابن علي الى علي بن الحسين بن فاطمة بنت رسول الله قال فانصرف محمد بن علي وهو يتولى علي بن الحسين^(٣) . ولكن رغم رواية الكلبيني هذه فان سلوك ابن الحنفية - مع انه كان شديد الحذر - لا يدل على انه تنازل عن الامامة الا عندما تنازل عنها فيما بعد الى الخليفة الاموي^(٤) .

اثار تكتل من تكتل من الشيعة حول ابن الحنفية الشكوك والكراهية في نفس ابن الزبير . غير ان الاخير لم يأخذ المسألة بعين الاعتبار والجهد اللهم الا بعد ان لوت حركة الختار

(١) البهوتي . تاريخ . ج ٢ . ص ٣٦٣ .

(٢) الكلبيني . اصول الكافي . ص ١٤٧ .

(٣) - - - - - ١٨٣ .

(٤) ابن سمر . كتاب الطبقات الكبير . ج ٥ . ص ٨٢ .

في العراق ، ظنا منه ان المختار يعمل لابن الحنفية . هذا وكان ابن الحنفية يعامل المختار معاملة كلها حذر ، فهو بالنسبة له شر لا بد منه . ولكن عندما اشتدت اذية ابن الزبير له - فقد اضطر الى طلب مساعدة عسكرية من المختار .

وذكر الطبري انه سبق لابن الزبير - عندما ادعى الخلافة - ان طلب الى ابن الحنفية وابن عباس مبايعته بالخلافة ولكنها رفضا وايضا ذلك قائلين " حتى تجتمع لك البلاد وتنشئ لك السائر " . فتركها واخذ بمعاودة عليها محاولته بين القبيلة والقبيلة ، فلما اشتد امر المختار في العراق ضغط عليها كثيرا وهددها " ونصد ل محمد بن الحنفية فأظهر شتمه وبهيه وأمره وسني عائم ان يلزموا تسعيدهم بعكة وجعل عليهم الرقبة وقال لهم نبيانا قال والله لتباهن او لاحرقنكم بالنار فذاتوا على انفسهم " . ثم خرجهم في سجن قريب بئر زمزم ، وذكر ابن الحنفية في الحرب الى الكوفة ففهم من ذلك علمه بمؤامرة خبيثة دبرها المختار لقطعه هناك . مستنذ طلب من شيعته بالعراق حراسة مسلحة فأرسل له المختار اربعة آلاف جندي (١) ولما دخلت طليعة هذا الجيهر مكة غناه ابن الزبير وهرب الى الكعبة وتملق بأستارها وقال " انا عائد بالله " وهكذا انقذ هذا الجيهر بني هاشم من الدية . ولما طلب هذا الجيهر من ابن الحنفية ان يفسح حدا لابن الزبير ففر ذلك قائلا " هذا بلد حرمه الله ما احله لأخذ الا للنبي " واكتفى بأن صحبه الى الحج ، وكانت هذه السنة هي التي اجتمع فيها على مائة اربعة الهة . وبعد انقضاء موسم الحج رجع هذا الجيهر الى الكوفة لينشهد بعد قليل مقتل المختار .

ولي معتقل سنة ٦٩ هـ بعد مقتل الخنار هـ
 حاول ابن الزبير ارضاء ابن الحنفية هـ بطهية عنيف هـ على جابهته هـ
 ولكنه رفض ذلك كعادته هـ . وفي هذا الاثناء تلقى ابن الحنفية
 رسالة ودية جدا من عبد الملك بن مروان يقدر فيها على
 ابن الزبير ومحاولته اكرام ابن الحنفية على البيعة له هـ ويدعو
 فيها للنزول عنده في الشام هـ . سر محمد بهذه الرسالة
 وحمل الى الشام هـ . ولكنه ما كان يستجيب فيها حتى طلب
 السبه عبد الملك ان يباح له لا يفرز وكل راجعا الى الحجاز هـ .
 ولما هم بدخول مكة منعه ابن الزبير هـ فذهب الى المدينة وفي
 فيها حتى قدم الحجاج وقتل ابن الزبير هـ . ولما بايع الناس
 لعبد الملك (٧٣ = ٦٩٢) بايع له محمد ابن الحنفية ايضا
 في رسالة ارسلها مع الحجاج هـ . ثم رجع وسكن المدينة هـ وكان
 بين الحسين والآخر يزور عبد الملك بدمشق متعزضا لمعه هـ .
 ومات سنة ٨١ ودفن في البقيع ^(١) . وذكر المسمودي انه " ^(٢)
 تنزع في موضع قبره " .

والواقع اننا اذا تعمقنا في دراسة شخصية محمد
 هذا لانا نجد فيها نواح عديدة من التقاليف والتورث هـ فمن ناحية
 سلوكه الشخصي جمع هذا الرجل في نفسه عقلية الزاهد الانعزاليه
 وعقلية الرجل الدنيا الغير متعالي عن لذائذها هـ . جمع محمد
 هاتين العقليتين في عصر بدأت فيه تظهران مقترنتين - كما نلاحظنا

(١) ابن سعد هـ كتاب الطبقات الكبير هـ ج هـ . ص ٧٣ - ٨٦ .

(٢) موج الذهب هـ ج هـ . ص ٢٦٨ .

سابقا - ما جعل جولد تصيهر^(١) يتخذ من شخصية ابن الحنفية مثلا على اجتماع هاتين العقولتين في شخص واحد . فبينما يصف بعض معاصريه بكثرة العلم والوج^(٢) . يصفه البعض الآخر بالتعلق بطبقات هذه الدنيا - كما ذكرنا املاء ص ١٤ - ١٥ - التي يصفها Buhl^(٣) من ميزات امرته . وان كثرة الدينون التي كانت تراكم عليه . وكثرة طلباته التي كان يطلبها من عند الملك ابن مروان - بعد ان اعترف به - لسد ديونه وللانفاق على نفسه واولاده وخاصة ومواليه^(٤) . تعطينا صورة صادقة عما نحن بمصدريه .

وهذا وانطبعحت مواقف السياسة بطابع هذا الفرد الذي قد يكون ورثه من ابيه . فنقول هذا رغم ما يذكره لنا ابن سعد من ان معددا هذا تجر مجبة من تردد ابيه في السير بحطة وجديتها الشام لحماية معاوية^(٥) . ومن الواضح جدا ان هذا الرجل . كآبيه . لم يخلق لقيادة الشعوب . كما انه لم يكن رجل حرب . ففي معركة الجمل اخذ ابو صفه الزاية لنا رلى منه نكوصا عندما التقى الجيشان^(٦) . اضف الى ذلك الشعور بالنقص الذي كان يفتابه من جراء امومه الغير مشرفة . والتي كانت ابدا مستهدفة للاهانات . فمثلا . عندما مات الحسن بن علي واراد الشبهة دفنه في بيت النبي ورفضت عائشة . الح عييدا العلويون في قبول ذلك . وما ان تكلم معددا ابن الحنفية في ذلك حتى اجابته با ابن الحنفية هؤلاء الفواطم يتكلمون لنا كلامك^(٧) . وحدث

(١) المعجزة والشريعة في الاسلام ص ١٢٨ - ١٢٩ .

(٢) ابن سعد . كتاب الطبقات الكبير ص ٦٢ .

(٣) Encyc. of Islam, Vol.III. Art.Muh.B.Al-Hanafia,

(٤) ابن سعد . كتاب الطبقات الكبير ص ٨٣ .

p. 671.

(٥) (٦) - - - - -

(٧) الكوفي . اصل الكافي ص ١٥٥ .

ان خطيب ابن الزبير قال من علي بن ابي طالب فتصدى له محمد
هَذَا ، فانتهدب ابن الزبير قائلاً : " هذا عجلة عذرة بني القواطم
لما بال ابن امية بنى حنيفة . " فلما سمع محمد هذه الكلمات قال
مترجماً : " فاني بترك التي فيها العذاب صبير . " (١)

ونحن نستطيع ان نعين موقف ابن الحنفية السبائي
بكلمات قليلة : كان الرجل يطمح بالخلافة والحكم ، ولكنه لم يحرك
سلكاً في سبيل ذلك ، بل انه كان ينتظر ان تمتط عليه الدولة
التي يريد ان يترأسها من عند الله ! لقد تشكك الحنفية الشعبية
السلبية في شخصية محمد هذا غير تعجل . انه كان يترأس حركة
معارضة خرساء . فلو كان محمد عطياً لكشف كنهه يستغل قوة انصاره
سيما المرافقين عندهم ، ولكنه كان عديم الثقة بنفسه وشبهته .
ولو لم يكن يحلم بالحكم لما تزعم هذه الحركة الخرساء ولما كان
يتردد على لسانه عبارات كقوليه : " فان امرنا اذا جاء كان
كالشمع الضاحية . " (٢)

اما بخصوص موقفه من فكرة انتظار المهدي ،
فنحن بين الاحاديث التي جمعها لنا ابن خلدون حديثان يدخل
محمد هذا في سلسلة روايتها ، احدهما يروي عن ابيه (٣) ،
والآخر عن ابيه عن النبي (٤) . وما لا شك فيه ان كلا هذين
الحديثين اختراع متأخر . ومن المؤكد ان الخبرين اللذين نقلهما
لنا ابن سعد ، حيث يقول ابن الحنفية في اولها : " النبي منا
والمهدي من بني عبد شمس " ، وفي الثاني - وقد سألناه سائل
" ان الناس يرمون ان فيكم مهدياً " - يقول " ان ذاك كذاك ولكنه

(١) البغوي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٣١٢ . ايضاً ، السمودي ، مروج الذهب ،

ج ٥ ، ص ١٨٥ - ١٨٧ .

(٢) ابن سعد ، كتاب الطبقات الكبير ، ج ٥ ، ص ٧٧ .

(٣) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٣١٩ .

(٤) = = = = ٣١٨ .

من يحيى عهد عمر . (١) . نقول من المؤكد ان هذه الغيبيين
من وضع متأخر ، قصد بهذا الدعاية لبني امية . سببا للخطيئة
عمر بن عبد العزيز . هذا ولا يوجد في ايدينا ما يبرهن ان الجبل
كان يعتقد بهذه الفكرة . وقد رفر ابن الدخلة - كما سبقين فيما
بعد - لقب المهدي - بمعناه المسيحي - الذي اسمه اياه المختار .

المختار بن ابي عبيد الثقفي (٢)

ونحن اذا ندرس شخصية هذا الجبل ، ندرس شخصية
من الغيب الشخصيات في التاريخ الاسلامي . وهو من نواح عديدة
عظيم الشبه بالحسن بن الصباح . مؤسس لفرقة الحشاشين . ونستطيع
ان نخبر تاريخ حياة هذا الجبل - قبل ان تأتي عليها بالتفصيل -
بكلمات قليلة ، كان المختار رجلا ذا طموح لا حد له ، ولما
سار في وقت تفاقم فيه زعماء المسلمين على رئاسة الامنة ، سرت
اليه روع هذا التفاضل . ولم يجد المختار نفسه اقل من اولئك
التفااضلين ، وبدأ يعمل . ولقد اوشى صاحبنا عقلة في هذه ذراعية
من الطراز الاول ، فلم يترك وسيلة توصله الي الحكم الا واتبعها
ولكنه لم يخلق للحكم . لذلك فشل . بيد ان النجاح والخلود
كنتا للامكار التي جاء بها .

(١) ابن سعد ، كتاب الطبقات الكبير ، ج ٥ ، ص ٢٤٥ .

(٢) بكاد يكون الطبري (الجملة الثانية ، ص ٥٣٠ - ٧٥٢ .

مضافا اليها اشارات اخرى قليلة) المصدر الوحيد لدراسة
المختار . لذلك نعتمد عليه كل الاعتماد في سردنا لقصة
حياته .

بذكر الطبيب^(١) والبلاذري^(٢) ان المختار ولد في
السنة الاولى للهجرة . ولكن الطبيب محمود فذكر انه في سنة
اربعين كان " غلام نساب " ^(٣) . وبعد مقتل ابيه احتضنه عمه محمد
ابن محمود . العلوي الميول والذي اصبح عاملا لعلي علي المدائن .
ولما خرج الخوارج علي علي^(٤) (٣٢ هـ) خرج معه في طلبهم
واستخلف مكانه علي المدائن ^(٥) . من ذلك ثم ان المختار نشأ
في بيئة علوية . وعندما التحم القتال (٤٠ هـ) من الحسن بن
علي ومعاوية هرب ليلا الى الاول الى المدائن واحتسب بعم المختار .
واليك هذا الحديث الذي دار آنذاك بين المختار وعمه . قال المختار
لعمه : " هل لك في الغنى والشرف فقال وما ذاك قال توثق الحسن
وتستأمن به الى معاوية فقال له محمد عليك لعنة الله ان علي
ابن علي بنت رسول الله صلعم فأوفته بشر الرجل انت " ^(٦) وذكر
البلاذري^(٧) ان الشيعة ه علي اثر ذلك طلبوه ليقطعوه ولكن عمه حال
دون ذلك . هذا ودفع المختار بعد خمسة وعشرين سنة من هذا
التصرف عندما وذه الشيعة عليه . وما لا شك فيه انه كان لذلك
الحادث اثرها فيهم في هذا الرجل الذي لم بعد بقال
تقتسم . بل انهم عدوه عنانها ^(٨) .

(١) تاريخ الزمل والعلوك . الجلة الاولى . ص ١٢٦٤ .

(٢) انساب الاشراف ج ٥ . ص ٢١٤ .

(٣) تاريخ الزمل والعلوك . الجلة الثانية . ص ٢

(٤) - - - - - الاولى ص ٢٢٦٦ .

(٥) - - - - - الثانية ص ٢

(٦) انساب الاشراف ج ٥ . ص ٢١٤ .

(٧) - - - - - ٢١٤ .

والظاهر ان **رفيعه** منعة من الانضمام الى الحكام الامويين والاستفادة منهم . ولو اقمه لم يفعل ذلك لوجود مماثلة فيه " عمرو بن العاص " آخر . وبهذا يكن من امر فقد اتخذ هذا الرجل مكانه في صفوف المعارضة . ولما تار حجير بن عدى ضد الامويين (سنة ٥١ هـ) وطلب زياد بن ابيه من المختار ان يشهد عليه " راع " من الشهادة ^(١) . وهكذا اتخذ المختار موقفا مهاديا للخلافة الاموية . وفي سنة ٦١ هـ اشترك في ثورة مسلم بن عقيل على الامويين . فنجته عامل بني امية سعيد الله بن زياد بعد ان ضربه وشتر عينه . ولم يطلق سراحه اللهم الا بعد ان توسط له زوج اخوته سعيد الله بن عمر عند الخليفة الاموي يزيد . وما لا شك فيه ان المعاملة القاسية التي لقيها من العامل الاسوي حزنه في نفسه كثيرا .

وعلى هذه الصورة خيرا المختار من العداوى يريد الحجاز . وطلق اثنا مائة مائة الناس عن عند الله بن الزبير فقال له احدهم : " انه يباح مباح ولا اراه الا لو قد استندت شوكة واستغنى عن الرجال الا سيظهر الخلاف " فاجابه المختار " اجل لا شك لي ذلك اما انه رجل العيب اليوم اما انه ان يخطط لي اني سمع قولي انه امر الناس والا يفعل قولهم ما انا بدون احد من العرب " ^(٢) وتوجه الى مكة بقصد ابن الزبير . وحاول اقتاعه بالوثوب على الحجاز والمباينة لنفسه ولنا . ولم يثر المختار نفسه - كما دت - لي هذه اللحظة . بعد هذه التي ابن الزبير وقال مساوما : " ايسر بعدك اياهك واعطينا ما نرضينا " ^(٣) . غير ان ابن الزبير لم يحضر جوابا . فخرج من مكة وعنده وذهب الى الطائف حيث اخذ " يرسم اياه صاحب الغضب ويغير الجبالين " ^(٤)

(١) الطبري . تاريخ الرمل والطوك . الجفة الثانية . ص ١٣٤ .

(٢) (١) = = = = = ٥٢٤ :
(٣) = = = = = ٥٢٦ :

ولم تكن هذه اهل مرة ولا آخر مرة تكلم فيها المختار وتبنا
لنفسه بأعمال جليلة . وهذا يكن من امر فقد اقام في الطائف
سنة . ومعتقد Della Vida ^(١) ان في هذه الفترة
تجبت الكتابة التي جعلت منه مؤسس وقائد مرحلة سياسية ودولية
من مراحل الحركة الشعبية .

ولما يحس من الطائف ارسل له ابن الزبير -
الذي اصبح دعوته الآن مكتوفة - من يقربه منه ، فاجبه على
الخلافه بعد ان يضح لشروط وضعها (المختار) له ، وهي : على
ان لا تقضى الامور دوني وعلى ان اكون في اهل من تاذن له
واذا ظهرت استعنت بي على افضل مصلحتك . " ولما حاصر
مكة الجيوش الاموية (٦٤ هـ) بقيادة الحصين بن نمير السكوني و
حارب المختار الى جنب ابن الزبير * فكان من احسن الناس يومئذ
بلاء واعظمهم غناء . ^(٢)

بيد ان تعاون هذين الرجلين لم يطل . فلما
رفع الحصار وتولى يزيد بن معاوية ، وابع اهل الكوفة لابن الزبير
بالخلافه ، ورأى المختار ان ابن الزبير لا يستعطفه * جعل لا يقدم
عليه احد من الكوفة الا سألوه عن حال الناس ومعتقدهم
وهيئتهم ^(٣) . ولما تأكد ان فيها من لم يعترف بخلافته ابن
الزبير ، توجه اليها حالا . هذه رواية الطبري في سبب
سفر المختار الى الكوفة . اما ابن سعد ^(٤) والبلاذري ^(٥) .

(١) Encyc. of Islam, Vol. III, art. Al-Mukhtar, p.716

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والطق ، الجلة الثانية ، ص ٢٨٠ . ايضا

المعمودي ، مروج الذهب ، ص ١٦٦ - ١٦٧ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والطق ، الجلة الثانية ، ص ٢٣١ .

(٤) كتاب الطبقات الكبير ، ص ١٧١ .

(٥) انساب الاشراف ، ص ٢٧٢ .

والمسعودي^(١) ، فيذكرون ان المختار ذهب الى الكوفة بأمر ابن الزبير وذلك لأنه وهذه بأن يكسب لخلافه شيعة بني هاشم ضد الامهين .

وهذا يمكن من أمر فقد توجه المختار بقصد الكوفة (٦٤ هـ) . وهو لا ينفك يسأل هذا وذاك عن احوالها . ونوم لنفسه بأوسع رعاية بين من يمر فيهم . وهو " لا يمر بجبل الا سلم على اهله وقال ابنسروا بالنصر والفتح اتاكم ما تحبون " .^(٢) ولكثرة حدة هذا الرجل تمكن أثناء هذه الرحلة من الاحتكاك بأوساط متعددة هجها للحبيب ضد قسلة آل البيت . ولم ينس ان يدعو بعض الشخصيات الكبيرة من ذوى الميل الشيعة للحاق به الى الكوفة . فلما وصل هؤلاء الى بيت ليدنا سألهم عن أمر الناس عموما والشيعة خصوصا . فأخبروه ان الشيعة قد اجتمعت حول سليمان بن صرد الذى كان على وشك الخروج . عندئذ قال المختار " اما بعد فان المهدي بن الوصى محمد بن علي بعثني اليكم امينا ووزيرا . ومنتخبا واميرا وامرني بقتال الملحدين والطغاة بدماء أهل بيته " هذه رواية البلاذري^(٣) اما الطبري^(٤) فيزيد عليها " والدفن عن الضعفاء " . وكانت هذه المرة الاولى التي تسميها بتلقب ابن الحنفية بلقب المهدي .

(١) مروج الذهب ، ج ٥ ، ص ١٧٠ - ١٧١ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، الجلة الثانية ، ص ٥٢٢ .

(٣) انساب الاشراف ، ج ٥ ، ص ٢١٨ .

(٤) تاريخ الرسل والملوك ، الجلة الثانية ، ص ٥٢٤ .

هذه رواية الطبري في دعوة المختار باسم ابن الحنفية .
وهي لا تذكر شيئا من سبب تلك الدعوة . بل انها تحطنا على الظن
ان الاثنين كانا متعلمين عليها سرا . اما رواية المسمودي فتذهب
الى غير ذلك . وصل المختار الى الكوفة واخذ من بيت المال اموالا
عظيمة فرق معظمها على الذين اتفوا حوله . ولما كتب لابن الزبير
" ان يحسب له بما انقله من بيت المال " ورفض الاخير ذلك
غضب المختار طامته : وكتب الى علي بن الحسين يعرض عليه ان يدعو
لامامته . فرفض هذا . بل انه " سبه على رؤوس الملأ في مسجد
النبي صلعم وذكر كذبه وجوره ودخوله على الناس باظهار البهل
الى آل ابي طالب " . ولما رفض المختار من علي كتب الى محمد
محمد يعرض عليه نفس الشيء . وكان هذا يميل الى الترفض لكنه
مدل منه نتيجة لتصبه ابن عباس الذي قال له " لا تفعل فانك
لا تدري ما انت عليه من ابن الزبير " (١) . ونحن نرجح كثيرا رواية
المسمودي هذه . فهي تفصّل لنا كثيرا من الغموض في العلاقة بين
هذين الشخصين . لم يطلع المختار ابن الحنفية على قصده من
السير الى الكوفة او ربما اطمعه ولم يوافق عليه - ولما بدأ عمله
الانقلابي فيها نمر بحاجته الى الاستناد الى احد افراد البيت .
الذين كانوا بدورهم في حاجة الى شخص قوي يساعدهم . وهكذا
وضع المختار ابن الحنفية امام الامر الواقع . هذا ويذكر البلاذري (٢)
قصة استيلاء المختار على اموال بيت المال وتوزيعها على اتباعه
دون ان يملك عليها .

ومما يكتن من امر فقد اخذ المختار يدعو باسم محمد
ابن الحنفية . المسمى . وقبل ان نترسل في تتبع هذه الدعوة
علينا ان نتوقف قليلا لنعترف على الحالة في العراق عموما والكوفة خصوصا

(١) مروج الذهب ج ٥ ص ١٧١ - ١٧٢

(٢) انساب الاشراف ج ٥ ص ٢٢٨ - ٢٢٩

في الوقت الذي دخل فيه المختار الكوفة ، او لفضل عليا
ان نتصرف على رد الفعل الذي تركه مقتل الحسين في كربلاء .

ذكرنا املاه ان مقتل الحسين قوبل في الحجاز بمسخط
عام اسفر عن ظهور منافسين للخلافة الاموية في شخصيتي ابن الزبير
وابن الحنفية . اما في العراق ، الذي كان شيعيا اكثر من غيره ،
فكانت النتيجة ظهور حركة التوابين .

والواقع ان المختار دخل العراق وهو ينفي كالمرجل ، وذلك
لان حركة التوابين اتخذت بعد وفاة يزيد (٦٤ هـ) شكلا واضحا
وجديا . نشأت هذه الحركة عقب مقتل الحسين مباشرة ، وكانت
استجابة لشعور شعبة العراق بغذلانهم ابن بنت النبي . واتخذت
جماعة هذه الحركة اسمها وعملها من القرآن " ويعملون بما امر الله
بني اسرائيل ان قال فتبوا الى بارئكم فالتلوا انفسكم ذلكم خير
لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم (البقرة ٥١) " (١) .
وهكذا كانت هذه الحركة طليعة جماعة مستتبعة هدفها الاخذ
بثأر الحسين . ورأست هذه الجماعة عليها سليمان بن صرد الخزاعي
الذي اخذت لقم حوله جموع الشبهة الساخطة ، وفي هذا
الثناء دخل المختار الكوفة . ولم ينضم الى هذه الحركة ، بل انه
اخذ يقبض جنود التوابين من نوادهم (٢) سيما ابن صرد الذي
اخذ يهاجمه اعنف هجوم (٣) ، وذلك لانه - كما يقول الطبري -
" اتقى خلق الله على المختار " (٤) . وكتبجة لدعاية المختار
انسحب بعض اتباع ابن صرد من جماعة التوابين . ومما يكن من

(١) البغوي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٣٠٦ .

(٢) السمودي ، مرجع الذهب ، ج ٥ ، ص ٢١٤ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، الجلة الثانية ، ص ٥٣٤ .

(٤) = = = = = ، ص ٥٣٥ .

امره . فلقد اتلى جيش التوابين هذا بجيش الخلافة الاموية (٦٥ هـ) بمعركة " عين الورد " التي انتهت بالهزام جيش التوابين وقتل نواده (١) .

ولما نشبت معركة عين الورد هذه كان المختار مسجوناً في سجن عبدالله بن يزيد الانصارى عامل ابن الزبير على الكوفة . وكان انصار جيش التوابين الساحق وقتل سليمان ابن صرد اعظم انتصار للمختار الذي كان قد تبعاً - او بالاحرى تكهن - بذلك . كما تبعاً بأن قوى الشيعة - تحت امرته - سوف تقتل نمر انتقاماً من قتلة محمد كرم الله . وكانت هذه النبوءات تصاب فيه على شكل جعل مسجوة كسجع الكهان . كقولهم وقد مضى على سجنه نحو من خمس عشرة ليلة . " صدوا لغاربكم هذا اكثر من عصر ودون النسيهر ثم بجيتكم نبأ هتر من طعن نمر وضرب هبر وقتل جم وامر رجم فمن لها انا لها لا تكذبين انا لها " (٢)

ومعد مقتل ابن صرد شفع بعض وجهاء الكوفة لخروجه من السجن . فاخرجه عامل بن الزبير مشترطاً عليه ان لا يقاتل ابن الزبير . وعلب خروجه اخذ بقرم حركة اقتحام لمقتل الحسين . وكما ذكرنا اعلاه . لم بذلك باسم محمد ابن الحنفية . المسمى . غير ان الناس شكوا في صحة ما يدعيه من علاقة مع ابن الحنفية . فشكوا وحدا قدم على الاخير وسأله عن المختار ودعواه . فاجابهم اجابة دبلوماسية " واما ما ذكرتم من دعاه من دعاكم الى الطلب بدماقتنا فوالله لو ددت ان الله انتصر لنا من عدونا فمن شاء من هؤلاء القول هذا واستغفر

(١) المسمى مولى ، القتيبة ، والاعراب . ص ٢١١ .

(٢) الطبري . تاريخ الرسل والملوك . الجملة الثانية . ص ٦٩ .

الله لي ولكم . - (١) . بهذا الجواب الطي بالتخطي اجاب ابن الحنفية . فلما رجع الوفد الى العراق وفد بهم ضمنا ان ابن الحنفية يواز حركة اثار لال البهت . نقل المختار عبارات ابن الحنفية الى الناس بقوله . " يا معشر الشيعة ان نفراكم احبوا ان يعلوا همدان طاجت به فرحلوا الى امام الهدى والتجيب المرتضى ابن خبير من طشي وشي حاشي النبي المجتبى فمأثوه ما قدمت به عليكم فنبأهم اني وزره وظهيره ورسوله وخليفه وامركم باتباعي وطاعتي فيما دعوتكم اليه من قتال المعولن والطالب بدما . اهل بيتكم الصطفين . - (٢) . وهذه الحادثة تعطينا صورة صادقة من العلاقة بين الرجلين . ابن الحنفية رجل متحفظ يهود ان يستفيد من هذا الدعاية . والمختار غير متحفظ . وهو بدوره يحاول تاري جهده استغلال اسم محمد لطأريه الشخصية !

وسارت هذه الدعوة الجديدة للاغذ بنار الحسين . ومما سارت الدعاية لابن الحنفية ومهديته . ولما نعلم بالضبط الى اي حد فهم المجتمع الكوفي مهدي ابن الحنفية على انها مهدي بالمعنى " المسيحي " . وكما نستطيع ان نوكد ان البعض - سيما من بين النوالي - قد فهمها كذلك .

اغذ المختار يحدد نوى الشيعة للتفصال ضد الفاصيين الامويين . يهود ان قسطا لاس به منهم لم يهترو معه بل التحل حصول القائد ابراهيم بن الاشتهر ذي الشخصية المحترمة . ولكي يفتح المختار ابراهيم هذا - الذي كان بالنسبة له صفة رابعة جدا - بالانضمام مع اتباعه الى حركة (زور كتابا على لسان ابن الحنفية يطلب فيه من ابراهيم مقاصرة المختار والانتقاد

(١) الطبري . تاريخ الرسل والملوك . الجملة الثانية . ص ٦٠٧ .

(٢) = = = = = ص ٦٠٨ .

لده . وعندما سَلَّم المختار الكتاب الى ابراهيم ابدى الاخير
شككه في صحته . اذ انه يبدأ بعد البسملة بهذه الكلمات :
" من محمد المهدي الى ابراهيم بن مالك الاخير " فلما قرأ ابراهيم
هذه الكلمات ابدى شكوكه في كونه من ابن الحنفية بقوله : " قد
كتب الي ابن الحنفية وقد كتبت اليه قبل اليوم فطكان يكتب الي
الاباسمه واسم ابيه " قال المختار ان ذلك زمان وهذا زمان (١) .
وَم يَسِر ابن الاخير معه ويحارب تحت لوائه اللهم الا بعد ان شهد
لده شهيد (شهدوا كذبا حَبَّاء في الخروج) بانه لاخبار على صحة
الكتاب .

ورغم الشك الذي أبداه البعض في المختار ونواياه
فقد آمن به اناس ابطاناً كبيراً الى درجة ان وصله احدهم باناسه
معصوم (٢) . ولكي يكسب المختار شعبية حسن معاملته مع
الناس كثيراً واخذ " يَمَنِّي الناس ويستجروا ردتهم ومودة الانسراف
وبحسن السيرة جهده " (٣) . وتهاوت عليه اشهره بمسحونه
لمدحه احدهم (عبدالله بن همام) بقوله :

فمن وزير ابن الوحي عليهم
وأب المهدي حقا الى مثله
الى الهاشمي المهدي المهدي به
فنحن لده من سامع وطبيب (٤)

كسل هذا وهو منكم في الاستعداد للحرب التي اخذ يمد
لها مدتها .

وفي ١٤ ربيع الاول (٦٦ هـ) بدأت الثورة . ودارت بعض

المعارك الثانوية بين ثوى المختار - التي كان يقودها ابن الاخير -

(١) الطبرى . تاريخ الرسل والملوك . الجملة الثانية . ص ٦١١ - ٦١٢ .

راجع البلاذرى . انساب الاعراب . ج ٥ . ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

(٢) الطبرى . تاريخ الرسل والملوك . الجملة الثانية . ص ٦١٧ .

(٣) = = = = = ص ٦٢٣ .

(٤) = = = = = ص ٦٢٨ .

ومين جنود الدولة . ولقد كون الموالي قسما كبيرا من جبهه المختار .
ما اثار سخط اسيادهم ، الاشراف ، الذين اخذ تذرهم من المختار
بظهر شيئا فشيئا .

وهكذا نشأت بين اشراف الكوفة حركة ثورة ضد
المختار وعمله ، وسبب احد الاشراف من سبب هذه الثورة بقوله " انه
تأمر علينا بخير رضى منا ورمم ان ابن الحنفية بعنه اليكنا وتدعلنا
ان ابن الحنفية لم يفعل . واطعم موالينا فينا واخذ عبيدنا فحرب بهم
بتماننا واراملنا " (١) . هذا وكان لثقافتهم المختار مع الموالي ضد
اسيادهم اثرا كبيرا جدا ظهرت نتائجه في المستقبل . اما الاسباب
التي حيدت بالمختار لان يثقهم مع الموالي فلأنهم كانوا اسهل اعتمادا
من غيرهم . ونحن لا نعمل الى الاخذ برأى Della Vida ان المختار
" فضل حزب الموالي . ومباداته الاقتناع لا لاسباب سياسية : انه
كان يعتقد ان نصر المهدي الذي تنبأ به سيجعل المؤمنين متساوين
دون اي تمييز عنصري " . (٢) فهذه الاسباب ربما دفعت الموالي للتعليق
بالمختار ، لا العكس ، نقول ذلك لاننا نعتقد ان المختار لم يكن يؤمن
بمهدية ابن الحنفية التي استغلها للوصول الى اهدافه الشخصية ،
والى القارئ هذين الخبرين اللذين يؤكدان ما نحن بصدده : " قال
المختار من جاءنا من عبد فهو حر فبلغ ذلك ابن الزبير فقال كان يقول
اني لا افرق كلمة لو ظفها كبر تبى وهي هذه ليكن نبعة " . (٣) ركب
المختار يوما مع الغفيرة بن شعبة فمر بالسوق فقال الغفيرة اما والله

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، الجلة الثانية ، ص ٦٥٠ - ٦٥١ .

(٢) Encyc. of Islam, Vol.III, art. Al-Mukhtar, p.716

(٣) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٥ ، ص ٢٦٢ .

اني لا أعرف كلمة لو دعا بها اريب لاستحال بها انواما نصاروا له أنصاراً
ثم لا سيما المجسم الذين يقبلون ما يلقى اليهم قال المختار وما
هي يا عم قال يدعوهم الى نصية آل محمد والطيب بدمائهم
فكانت في نفس المختار حتى دعا . (١) هذا والخبر الذي يذكره
المسمودي يعطينا اقوى برهان على ما نحن بصدده : وانبل
بدعو الثاني على طبقاتهم ومقاديرهم في انفسهم وقولهم فقدم
من بظلمه بامامة محمد بن الحنفية . وظهر من بدعته من هذا
فيخاطبه بأن الملك يأتيه بالوحى وخبره بالذهب . (٢) ونحن لا
ننسى ابداً في ان هذه الصفة الذائعة التي سنها المختار كانت
ذات اثر قوى في عقلية الشيعة . فهذه الناحية في تعاليم الخوان
الصفاة مثلاً معروفة عند الجميع . وتذهب احد الاحاديث التي
يردها الكشي عن النبي الى انه قال : انا معاشر الانبياء امرنا
ان نكلم الناس على قدر عقولهم . (٣)

استمد الانصار للنزوة على المختار والقضا عليه .
ولفتوا لوصة محمد ابن الاشر الذي كان مشغولاً بفاتل الاسويين .
في الشمال . غير ان المختار استرجعه بسرعة الى الكوفة حيث
وضع حدا لتلك النزوة . وفي اثناء احدى معارك المختار مع هؤلاء
النوار طلب احدهم (مبرة بن مرداس) الامانة فأعطى له ثم انه
تقدم من المختار وقال له : مبرة بن مرداس يحلف بالله السذي
لا اله الا هو لقد راى الملائكة تنازل على الذيل البلق بين السماء

(١) الهادي . انساب الاشراف ج ٥ ص ٢٢٢ .

(٢) مسيح الذهب ج ٥ ص ١٧٢ .

(٣) اصول الكافي ص ١٢ .

والأبنة فقال له المختار فاصعد المنبر فأعلم ذلك المسلمين فاصعد
فأخبرهم بذلك ثم نزل فغلا به المختار فقال اني قد علمت انك
لم تر الملائكة وانما ابدت ما قد عبرت ان لا انتك فاذهب فاني
حيث احببت لا تفقد علي اصحابي . (١) فبذره صورة واحدة
لخداع هذا الداهية لاتباعه البسطاء .

وبعد ان اخذ هذه الثورة بدأ المختار ينفذ ما
سبق ووعده الناس به كثيرا : الفتن بفتنة الحسين واتباعه . ولم
يكف بقتلهم جميعا بل قتل معهم حتى الذبح لم يناصروا الحسين
في محنته . وبعد ذلك بوقت قصير اصير احمد قائده ابن الأشتر انتصارا
بأهرا على جيوش الامويين القادمة لقتال المختار . وفي هذه الموقعة
قتل قائد الجند الاموي ، عبد بن زياد ، قاتل الحسين في كربلاء .

وهكذا اصبح المختار الحاكم المطلق على رقعة
من الدولة الاسلامية تضم العراق - ما عدا البصرة - والوصل
وارمينيا واذربيجان (٢) . عندها حاول احتلال الحجاز - الذي كان
يحكمه ابن الزبير - واتيح لذلك خطة دنيئة (٣) زادت في كراهية
ابن الحنفية له . وقد ابن الزبير عليه ، ما جعل الاخيرة يفكر
عصيا في القضاء عليه ، وما ان واثت الفرصة حتى امر ابن الزبير
أخاه مصعبا ، واليه علي البصرة ، ان يهاجم المختار . وانضم الي
مصعب الكثيرون من اشراف الكوفة ، وفي نفس الوقت اخذت نبي الشجعة
التي التفت حول المختار تنفذ شجاعتها فشبها امام جبر ابن الزبير
وحلفائه . اضف الى ذلك ان انصار المختار اخذوا بهجروته شجاعتها

(١) الطبري ، تاريخ البرل والبلوك ، الجلة الثانية ، ص ٦٦٤ - ٦٦٥ .

(٢) البديوي ، تاريخ ، ج ٢ ص ٣٠٩ .

(٣) الطبري ، تاريخ البرل والبلوك ، الجلة الثانية ، ص ٦٨٦ - ٦٩٢ .

البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٥ ص ٢٤٦ - ٢٤٧ .

نفسها ، كل هذا وهو يحارب بيطة نادرة ، واخيرا تغلب عليه
المعدو نهائيا وحصره مع بعض اتباعه في قلعة في الكوفة .
وبعد مقاومة باسطة عند نهج المعاصريه ، فكر المختار في
الخروج ، وعندما خرج من القلعة ، وقبل ان يلتقي بالامراء
الذين كانوا يترقبون به ، وفي ذلك الوقت الذي كان فيه في
حالة نفسية متعطشة ، انفلتت على لسانه عبارة هي خير ترجمة
لحركاته ونواياه ، بلغت المختار الى احمد اتباعه وهما خارجان من
القلعة ليقل له " انما انا رجل من العرب رأيت ابن الزبير
انترى على الحجاز ورأيت نجدة انترى على اليمامة ومروان على
الشام فلم اكن دون احمد من رجال العرب فأخذت هذه
البلاد فكنيت لأحمدهم الا انني قد طمليت بتار اهل بيت النبي
طعم اذ نام عنه العرب فقتلت من شريك في دمائهم والفتت في
ذلك الى يومى هذا . " (١)

(١) الطبرى ، تاريخ الرمل والبلوك ، الجلة الثانية ، ص ٢٢٧ ، راجع ايضا

البلاذرى ، انساب الاشراف ، ج ٥ ، ص ٢٦١ .

((الفصل الثالث))

تطور مدنية ابن الحنفية بعد وفاته

وهكذا قضى الحنفية بعد ان ترك اسوأ الذكريات تحوم
حول شخصه ^(١) ، حتى ان الكوفة أصبحت تُعَيَّر به ^(٢) ، وتذهب
المصادر التي رجعتنا اليها ان ابن الحنفية - الذي كان يسمو
باسمه - لم يكن حسن الرأي فيه ^(٣) ، بل انه كان يكره اسمه ^(٤)
ونفس لا تستغيب ذلك علما لما بينهما من اختلافات خلقية جوهرية ،
بغض النظر عن اختلافهما من حيث الغايات .

وما لا شك فيه ان ابن الحنفية قد حافظ على
الروح الشيعية السلبية الاصلية خبير مدافعة ، فكان يدافع عنه
من اسمه لهما فضل على الناس ^(٥) ، وان من احبها فقد الله
وان كافته في الدبلم ^(٦) ، وكان عظيم الثقة بحق هذه الاسيرة
في حكم المسلمين . ولما اغتصب الحماكم الاموي هذا الحق ،

(١) راجع : البلاذري ، انساب الانبياء ، ج ٥ ص ٢٢٦ . الطبري ، تاريخ البرل
والملوك ، الجلة الثانية ، ص ٥٢٦ - ص ٦٨٦ .

(٢) ابن الفقيه ، كتاب البلدان ، ص ١٦٩ ، ١٨٤ ، ١٨٥ .

(٣) ابن سعد ، كتاب الطبقات الكبير ، ج ٥ ص ٧١ .

(٤) - - - - - ٧٣ .

(٥) - - - - - ٦٩ .

(٦) - - - - - ٧٠ .

فان الله تبارك ان يوده اليهم . وكثيرا ما انطلقت على لسانه عبارات التمنى بوجعة مسيعة لأمسنا ^(١) او لدولة الحق ^(٢) . ولكن عندما تقدمت به الحياة وسلا من قوة بنى امية ما بلا . فخر اعتقاده بوجعة مسيعة . فعندما طلب اليه عبد الملك بن مروان ان ينادي سوريا خطب في اصحابه خطبة جاء فيها : " وامر آل محمد مستأخر " والذي نفس محمد بيده ليعودن يكتم كما بدا . ^(٣)

بعد ان محمد هذا كان معتدلا في تنجيمه بعيدا كل البعد عن الفطو : يبلغ مسامحة ان في الكوفة مسيحتان غالبتان في تنجيمهما . وان بعض النجيمة يحشرون في بيئتهما . فيرمي الى النجعة في الكوفة كتابا يحذرهم فيه من الاجتماع بهما ^(٤) . وروى بأم عينة هذا الانقسام الفتي امير الاسلام ليحز الأثم في نفسه ليقول " اهل بيتين من العرب يتخذهما الناس اندادا من دون الله نعمن ومنو معنا هؤلاء " بمعنى بسني امية . ^(٥) . وربما ان اعتدال محمد كان من الاعباب الرئيسية في عدم تقاطعه مع المختار .

(١) ابن سعد . كتاب الطبقات الكبير . ج ٥ . ص ٧٠

(٢) = = = = = ٧١

(٣) = = = = = ٨٠

(٤) الطبري . تاريخ البمل والبلوك . المجلد التاسع . ص ٧٣١ - ٧٣٢ .

(٥) ابن سعد . كتاب الطبقات الكبير . ج ٥ . ص ٦٨ . الفزالي .

فضائل الهاشمية . ص ٨١ .

ومعها يكن من امر فقد رفض ابن الحنفية لقب "المهدي".

الذي البسه إياه المختار : " عن أبي حمزة قال كانوا يسلمون على محمد بن علي سلام عليك يا مهدي فقال أجل أنا مهدي اهدي إلى الرشد والخير اسمي اسم نبي الله وكسيتي كنية نبي الله فإذا سلم أحدكم فليقل سلام عليك يا محمد السلام عليك يا أبا القاسم . " (١) ويؤكد رجل من توة آخر بخراسان أنه قدم إلى ابن الحنفية وسأله بعد الأسئلة أجابه عليه .

وهناك أحد هذه الأسئلة - الذي نرجح أنه كان حول مهديته - يسأله الرجل : " وقد كانت تبلغنا منك أحاديث من وراء وراء

فأحببت أن أشاركك للكلام فلا أسأل منك أحدا ... فعهد الله محمد بن علي ... ثم قال أما بعد فأياكم وهذه الأحاديث فأنها عيب عليكم . وليكم بكتاب الله تبارك وتعالى فإنه به هدي أولكم وبه يهدي آخركم . " (٢) والظاهر أن المختار ضرب برقة ابن الحنفية لهذا اللقب مسبقا الحافظ بل أصر عليه ، علي شرط أن لا يتعدى كونه وسيلة يستفاد منها . وهو لا يتورع عن الفتك بابن الحنفية بنفس هذا السلاح - سلاح المهديته - إذا ما آثر منه خطبا

على أخصائه : فعندما ضايق ابن الزبير ابن الحنفية فكر الثاني بالدخول من وجهه إلى الكوفة ، حيث كان المختار يقود له المسيل (!) فأمد له المختار استقبالا رائعا : قال لأقل الكوفة

" أن نبي المهدي علامة يقدم بلدكم هذا فبذريه يجعل نبي السوق بالسيف لا قصيره ولا تحبك فيه " وطبعا آثر ابن الحنفية بهذا

تحت ضغط ابن الزبير على ضربة السيف (٣) .

(١) : ابن سعد ، كتاب الطبقات الكبير ج ٥ ص ٦٨ .

(٢) = = = = = ٦٨ - ٧٠ .

(٣) = = = = = ٧٤ . راجع أيضا

البلاذري ، انساب الاعراب ج ٥ ص ٢٦٩ - ٢٧٠ .

والرسم من التشجيع المعتمد الذي تشبهه ابن الحنظلة
لقد ألف حول شخصه - سيما بعد وفاته - أكثر النسخة فكلوا
وتطرقوا . ونحن لا نشك ان ذلك كان من جراء دعوات المعتدلين
والكاهن . وفيما من انه يفرلقب المهدي فان هذا الاسم بهدوه
" المسيحي " يعني عاقبا بشخصه اتقاء حياءه . وبعد موته . وإذا
كان من الصعب عليه ان يلعب دور المهدي اتقاء حياءه . فلقد
أصبح من السهل ان ~~يكتسب~~ ^{يلعب} هذا الدور بعد وفاته . لقد
علق اتباعه عليه الكثير من الآمال . فلما مات لم يشأوا ان يعتبروا
بالهزيمة . بل أصبحوا على انتظار دولة الله التي سيأمرها هذا
المهدي .

هذه هي قصة الكيمانية ^(١) . اتباع محمد بن علي .
تلك القصة التي لا تختلف في تكوينها عن تكوين مشكلة الخلافة .
انها لم تكن عندها . اخذت كلمة المهدي تحمل شيئا نفسيا محل
كلمة الخليفة . وكما كان الناس يخطئون في لغة ادعية هذا الموضع
او ذاك في منصب الخلافة . اخذوا يخطئون في ادعية هذا او ذاك في
منصب المهدي . الذي سيجني بدوه التي منصب الخلافة .
وعكذا أصبحت المهديية علم الثورة يحمله رماء المعارضة الذين كانوا
يبدلون التي تولي منصب الخلافة .

ومعد وفاة محمد بن الحنظلة انقسمت فرق الكيمانية

هذه - التي كانت تعتقد بامامة ومهديته - التي لم يبق لكثيرة
يمكن حصرها في قسمين رئيسيين : قسم يزعم ان ابن الحنظلة حي

(١) لمعرفة احوال هذه التسمية راجع : السعدي . موج الذهب ج ٥ ص ١٨٠ .
النهختي . فرق النسخة ص ٢٠ - ٢١ ص ٢٤ . ابن خلدون . المقدمة ص ١٩٨ .

لم يمت . وسيمود ، وهو المهدى المنتظر . وقسم آخر اعتقد بولائه
وانتقال الامامة بعده الى غيره . واختلف هذا القسم فيما بينه
لي مَنْ يخلطه على هذه الامامة ^(١) . والآن لنترك جانبا القسم الثاني .
فمشكلته لا تختلف بقليل ولا كثير عن مشكلة الخلافة او الامامة .
الرئيسية . ولنتهمم بالقسم الاول .

اعتقد جماعة هذا القسم ان ابن الحنفية لم يمت
بل انه لا يزال حيا لي ، أو لب ، جبل رضوى الذى كان ابن
الزبير نفاه الى تاحيته ^(٢) . وصبق للنبي ان يرك هذا الجبل
بقوله : رضوى رضى الله عنه وقدر قدمه الله . ^(٣) . وما
هو جدير بالذكر ان جميع المتحمدين الذين ظهروا فيما بعد .
لبنوا اسماهم باسماء جبال .

والآن للدروس معتقدات الذين آمنوا بمهدية ابن
الحنفية وانتظروا رجوعه عن طريق دراستنا لشعابين من الكيمانية ،
وهما كثير عزه . والسيد الحميرى .

كثير عزه (القولى سنة ١٠٥ = ٧٢٣) -

عاصر هذا الناصر ابن الحنفية وكان من اتباعه
ومادحيه . والظاهر انه كان اثنا حياة محمد بن تميم تنسبها
معتدلا . حتى انه لم يكن مطلقا كفى الانقطاع الى الشهادة
وابن الحنفية . بل انه كان كثيرا ما يتبرر على خلفه بنى
امية ومدحهم . ولما عاتبه ابن الحنفية يوما ما على ذلك احسبه

(١) النوبختي . فرب الشهادة ص ٢٤ - ٣٠ . البزدادى . كتاب الذوق بين الذوق .

ص ١٦ - ١٧ . السمعودى . مروج الذهب ج ٥ ص ١٨٠ .

(٢) البهري . تاريخ ج ٢ ص ٣١٣ .

(٣) ابن الفقيه . كتاب البلدان ص ٢٥ .

قائلا " انما امخر مقدم واجعلهم حبات وقارب واخذ اسوالهم^(١)
وبعد وفاة محمد التي لم يعتقد بها قالى لي تشبهه حتى
وسم الاصبهاني^(٢) والبغدادي^(٣) بانه " كان يتشبه تشبها
فبيدا " . وزوي انه قال^(٤) :

برئت الى الاله من ابن ابي ومن قول الخوارج اجمعينا
ومن عمر برئت ومن عتيق فدانة دعي امير المؤمنين

عذا واعتقد كثير بالجمعة والتامخ . والى الثاني هذه القصة
التي يرويها لنا الاصبهاني : " كان كثير يدخل على عمه له
برزة فتركه وتطلى له وسادة يجلس عليها فقال لهما يوما
لا والله ما تعرفيني ولا تكرميني حق كرامتي قالت بلى والله
اني لاعرفك قال فمن انا قالت ابن فلان وابن فلانة وجمعت تمدح
اباء وامه فقال قد عرفت انك لا تعرفيني قالت فمن انت
قال انا يونس بن متى . " ^(٥)

كان كثير يميز في ركاب محمد يدافع عنه
بشمه ويتعصب له انشد تعصب . وندما مجئه ابن الزبير
في سجن فارم (قرب بئر زهر) غضب لذلك كثير وقال^(٦) :

من يرو هذا الشيخ بالخيف من ضي

من الناس يحلم انه فير ظالم

-
- (١) البغدادي خزنة الادب ج ٢ ص ٣٨٢ .
 - (٢) كتاب الاغانى ج ٨ ص ٣٠ .
 - (٣) خزنة الادب ج ٢ ص ٢٨٢ .
 - (٤) ابن عبد ربه العقد الفريد ج ١ ص ٢٦٧ .
 - (٥) كتاب الاغانى ج ٨ ص ٣٣ .
 - (٦) كتاب الاغانى ج ٨ ص ٣١ .

سقى النبي المصطفى وابن عمه
ابن فهو لا يشرى عدى بضالته
ونحن بعهد الله نلتو كتابسه
بحيث الحمام آمن الريح مساكن
فما في الدنيا بباقي لاهله
تخبر من لانتك فائسذ
ونكك لفلال ونظاع غسارم
ولا ينقى في الله لولة لاسم
حلولا بهذا الخبز خبز المحارم
وحيث العدو الصديق المسالم
ولا عدة البلوى بضية لازم
بل الحائذ المظلوم في سجن عارم

اما اعتقاد كثير في مهدية ابن الحنفية فأمر لا
شك فيه ه وهو القائل (١) :

هو المهدي خبرناه كعب اخو الاخبار في الحقب الدوالي

ولما سأله احدهم : التبت كعبا قال لا
قبل ظم ظن خبرناه كعب قال بالتوهم (٢) والذي نصيل الى
الاخذ به ان ايمانه بمهدية ابن الحنفية انما كان بعد وفاة
الاخير . نقول ذلك لخلو شمره الذي قاله اثنا حياة ابن الحنفية
من الاعتقاد بمهديته . بينما يظهر هذا الاعتقاد بالنسبة الذي
قاله بعد وفاته ه قال كثير في مدح كلامه عن الأئمة الذين
يعتقد بامامتهم : (٣)

الا ان الأئمة من قمهر
علي والتلاثة من بنسبه
ولاة الحق اربعة سواء
هم الاسباط ليس بهم خلاه
وميط غيبته كسر بلاه

(١) الاصبهاني ه كتاب الاغانى ه ج ٨ ص ٢٢ . السمودي ه مروج الذهب ه

ج ١٨١ ص ٥٥

(٢) الاصبهاني ه كتاب الاغانى ه ج ٨ ص ٢٢

(٣) السمودي ه مروج الذهب ه ج ٨ ص ١٨١ . ابن عبد ربه ه المعتمد الزيد ه

ج ١ ص ٢٦٨

وسبيل لا تراه العيين حتى
بنسود الذيل يقدما اللوا
تغيب لا يرى لهذا زمانا
برفسو عنده غسل وماء

ولسنا نعدى كيف استطاع كثير ان يوجد بين
الاعتقاد بعددية ابن السكفة وانتظاره ، وبين الاعتراف بخلافته
من بعده ، ومن بعده بخلافه مروان ابن الحكم وابنه ، قال
كثير (١)

وكان الخلائق بعد الرسول
نشهدان من بعد عدتهم
وكان ابنه بعده خامسا
ومروان سادس من عدته
لله كلهم تاما
وكان ابن الحولى لهم رابعا
طبعها لمن قبله مامعا
وكان ابنه بعده سابعا

السيد الحميري (سنة ١٠٥ - ١٢٣)

يقول الاصبهاني عن السيد انه " كان شاعرا متقدما
مطبويا ... وانما مات ذكره وهجر الناس شعره لما كان يقرط
ليه من صب اصحاب رسول الله صلعم وازواجه في شعره
ومستعمله من نذهم والطن عليهم تحومي شعره من هذا
الجنس وغيره وهجره الناس خشوا وترافا " ويقول ايضا ان ابواه
كانا اباضيين يسكنان المدينة كما سكرنا من بعدهما (٢)
بعد ان السيد لم يفتأ على ما كان عليه والداه ، بل انه
اصبح شيعيا فقالوا في تشيعه على مذهب الكيسانية ، وكان
يحتمد بالبيعة (٣) ، وتكذب روايات كثيرة (٤) الاخبار التي تذهب

(١) النسخ بغير شيخ ديوان كثير ٥٥١ ج ٢٦٨
(٢) كتاب الاغانى ٥٥٧ ج ٣ (٣) الاصبهاني كتاب الاغانى ج ٥٧ ص ٨
ابن عبد ربه المقد الفيد ج ٥١ ص ٢٦٨
(٤) الاصبهاني كتاب الاغانى ج ٥٢ ص ٥٤٥٣ . السمودي . يروح الذهب ج ٥٥ ص ١٨٣ - ١٨٤

السي انه نزل في آخر عمره الكيسانية واسبح يوم من امامه
 جعفر بن محمد : " فقال ابن الساهر راوية والله ما رجح
 من ذلك ولا القوائد الجعفيات الا محولة له قيلت بعده
 وآخر عددي به قبل موته بثلاث وقد مع رجلا يروي عن
 النبي صلعم انه قال لعلي عم انه سيولد لك بعدى واحد
 وقد نحلته اسمي وكسيتي فقال في ذلك وهي آخر نصبة
 قالها

قال محمد نسيما يوتى
 وخولة خادم في البيت تروى
 بواي الزند صالي الخيم نجد
 نحلتهما هو العدى بعدى
 تخدمه بطيبة بطن لحد
 مشعب بين انمار واسد
 وحقان نوح خلال ريد
 ملائكتن مقترما بحمد
 بلا خوف لدى صرى وورد
 وبهت طاهر الاركان فرد
 محل لده وقد بعد وقد
 صفاء ولايتي وخليو ودي
 اسر وما اوج به وادي
 ولا ازكي واطيب منه عدى
 بأسماء النية حين ودي
 تتلم من حصونكم كمدي
 أوصل ان يوفى يوم نقدي
 بجبار تقوى بالتفدى

الم بيلذت والانباء تنسى
 الى ذى علم الهدى علي
 الم تر ان خولة سوف تاتي
 بغوز بكيتي واسمي لاني
 يخيب عنهم حتى يقولوا
 مسكين واشهدا ويرى يرضوى
 مقسم بين آرام وسين
 تراعيها السباع ولهم منها
 امن به البردى ليرتمن طورا
 خلعت برب مكة والمصلى
 بطسوف به الحبيب وكل عام
 لقد كان ابن خولة غير شك
 فما احد احب الي نسيما
 سوى ذى الوحي احد أو علي
 ومن ذا يا ابن خولتان رمني
 يذنب عنكم صمد مصا
 ومالي ان امر به ولكن
 فادرك دولة لك لست فيها

وقال في ابن الحنفية ايضا (١) :-

اطلعت بذلك الجبل المقاما	الا قل للوصى قدتك نفسي
وسموت الخليفة والاماما	اضر بعشير والسوك مسنا
مقامك عندهم متين <u>عاما</u>	ومادوا بك اهل الارض طرا
ولا وارت له ارض عظاما	وما ذاق ابن خولصة طعم موت
تراجعه الملائكة الكلاما	لقد اولى بعورق شمع رضوى
واندبة تحده كسراما	وان له به لقبيل صدى
بسه ولحده تلص القماما	هدانا الله ان جرتم لاسر
تروا <u>راياتنا</u> تنثرى نظاما	تمام مسودة الهدى حتى

ونقول في رضوى (٢) :-

ومنا اله من العجاة اولى	يا شغب رضوى ما لمن بك لا يرى
يا ابن الرسول وانت حتى ترزى	حتى متى والى متى وكم العدى

ونقول فيه ايضا (٣) :-

حتى متى تعى وانت لريب	يا شمع رضوى ما لمن بك لا يرى
وكعبه نفسى عليك تذيب	يا ابن الوصى ما متى معد
منا التلوس بانك سيوب	لو غاب عنا <u>عمر نوح</u> اهلست

وبقيت الكيمانية ، بمختلف فسرهما ، تعمل على هدم الحكم الاموى . وبعد استيلاء العباسيين على الحكم - وكانت حينئذهم فسرنا من التفسير الحنفى - اخذت

(١) الاصبهاني ، كتاب الانسانى ، ج ٥ ، ص ٢٠ - ٣١ . اجم ايضا بالنهضتي
 لرقى الشبهة ، ص ٢٢ . المصمودى صريح الذهب ، ج ٥ ، ص ١٨٢ - ١٨٣ .
 (٢) المصمودى صريح الذهب ، ج ٥ ، ص ١٨٣ . (٣) النهضتي ، لرقى الشبهة
 ص ٢٦ .

الحظية ، او الكيمائية ، تتلانى معنا فنيئاً . وابتلعت
الدعوة الفاطمية الكيريين من اتاعدها .^(١) وهذا لا يعني
ان الايمان بوجعة ابن الحنفية ، المهدى المنتظر ، قد اختفى
من الوجود . قالهيويني بنفني لنا ذلك بقوله : والى زماننا هذا
ينتظره بعض النار وفلسون بحياته وكونه في جبل بضوى .^(٢)

(١) برنارد لويس ، اصول الاسطىلية ، ص ٨٨ - ٩٣ ، ١٢٢ -

١٢٣ .

(٢) الآثار الباقية ، ص ٢١٢ .

((القسم الثاني))

*

((الفصل الاول))

من اين جاء المختار بفكرة المهدية

ما لا شك فيه ان المختار عندما استعمل هذه الفكرة لم يكن يدري ما يفعل . لقد استعملها كوسيلة للوصول الى ما كان يهدف اليه ، الوصول الى الحكم . استعملها كما استعمل صلاح الدعاية لامامة ابن الحنفية ، او كما استعمل ابن الحنفية نفسه ، او كما استعمل صلاح محاربة قتلة الحسين ، او الضريق بين الموالي واصباذهم .

وبما يكن من امر فقد كان استعماله لهذه الفكرة يهدو . تطور خطير جدا في التاريخ الاسلامي ، ففي الحاس الشيعي الذي رجب بدعايته - كما يقول Della Vida (١) - نجد جرائم الاكثار التي نقلت التشيع من حركة سياسية الى عقيدة دينية . فكانت حركة - من هذه الناحية - كل حركة شيعية صلتها . ورغم ان هذه الحركة نشأت من الناحية السياسية فضلا زريعا ، غير ان النجاح والخلود كتبنا للافكار التي جاء بها المختار ، صيغت فكرة المهدى .

والان ، وجب علينا ان نجابه سؤالا هاما جدا ، وهو : من اين جاء المختار بفكرة المهدى هذه ؟ ان الاجابة على هذا السؤال بصورة لطيفة امر مستحيل ، لكثرة المشاكل التي تعترض طريقنا . لذلك سنحاول الاجابة عليه بنسدر الامكان ، من طريق اثارة مسائل هامة حول منشأ هذه الفكرة .

كلمة "مهدى" :- يشير المختار بمهدية ابن الحنفية ، وصارت هذه الفكرة سير النار في الهشيم . فآمن بمهدية ابن الحنفية من آمن وكفر من كفره فليسط

ليؤمن بمهدية غيره ... والواقع ان فكرة المهدى هذه قد لعبت دوراً هاماً جداً في التاريخ الاسلامي . ديننا وسياسيا . فما هي العلاقة بينهما وبين الاسلام ؟ هل نزل بها قرآن . ام هل بشر بها نبي الاسلام ؟

بالرغم من ان القرآن يمجج بشيقات فعل " هدى " وهو امر لا محذور فيه لكتاب ينشر بين الناس دعوة ضد الضلال - فانه لم ترد فيه ولا مرة واحدة صيغة " مهدى " هذه . ونحن اذا اعتبرنا الاستغراب لعدم ايجاد ما ينشر بظهور المهدى في القرآن . ثم لكثرة ما نجده منه في كتب الاحاديث والتواريخ . فان جولد سمير يطمنا بقوله " ومن الخطأ الخطير ان ننسب للقرآن اكبر النقص في بيان طابعه الاسلام بوجه عام . كما اننا من باب اولي لا نستطيع ان نؤسس حكماً على الاسلام مستقدين الى هذا الكتاب وحده ... والواقع ان هذا الكتاب لم يحكم الاسلام الا في خلال العشرين سنة الاولى من نموه " (١) .

ولما ليس اللغة العربية لا تعدنا كثيراً في دراسة اشتقاق هذه الكلمة . وذلك لانها وضعت بعد تدوين الحديث النبوي وولعت بذلك تحت تأثيره (٢) فهي لسذلك عاجزة عن ان تعطينا فكرة صادقة عن اشتقاق هذه الكلمة وبسبب استعاطها بالمعنى المسيحي . ومحاولة ايجاد اصل هذه الكلمة التي قام بها ياقوت تعطينا صورة واضحة عن التخبط الذي وقع فيه اصحاب القواميس . " فاما المهدى فلي اشتقاقه عندى اربعة اوجه احدها ان يكون من المهدى وبمعنى يفتح مبينه انه منفتح في نفسه لانه هداة غيره ولو كان ذلك لكان المهدى بضم الميم ... ويجوز ان يكون المهدى منصوباً الى مكان المهدى ...

(١) المفيدة والشريعة في الاسلام . ص ٢٢ .

(٢) راجع : ابن منظور . لسان العرب . ج ٢٠ . ص ٢٢٨ وما بعدها .

كان يلقي بأبي المهدى ^(١) . فهل كان اسم أبيه هو المهدى .
وهذا يشير الى استعمال اقدم لهذه التسمية ؟ وهنالك
استعمالات اقدم من هذه بكثير يشير اليها نسب ليلي - حبيبة
فيس . فوسي " ليلي بنت مهدي " ^(٢) . او " ليلي بنت سعد بن
مهدي " ^(٣) . او " ليلي بنت مهدي " ^(٤) بن سعد (او سعيد)
بن مهدي ^(٥) . وهكذا نستطيع ان نحكم ان هذه الكلمة عربية
جاهلية . لولا الاخبار التي تؤكد ان شخصية المجنون شخصية
خرافية لا وجود لها ^(٥) . ما اجل هذه الكلمة واوسع صدرها !
فوسي . بما تحويه من روعة وجمال وخيال . كانت منذ البدء
ستارا يتستر به كل من لا يحب ان يطلع الناس على مكنوناته
قلبه . فكما استعملوا المختار - وبعده الكثيرون - كستار
للوصول الى اهدافه السياسية . كذلك استعملها العاشقون
هكذا يقول الاصمعي : " عن ابن الكلبي قال : حدثت ان
حدثت المجنون وشعره وضربه لتي من بني امية كان يدعى
ابنة عم له . وكان يكوه ان يظهر ما بينه وبينها . فوضع
حدثت المجنون وقال الاشعار التي يروونها الناس للمجنون ونسبها
اليه . " ^(٦) و " عن عوانة انه قال : المجنون اسم مستعار
لا حقيقته له . ولير له في بني عامر اصل ولا نسب . فمثل
من قال هذه الاشعار ؟ فقال : لتي من بني امية " ^(٧) .

استعمال الكلمة بخير معناها " السبي " :-

من الموحج جدا ان يكون هذا الاستعمال -
الذي نعت من روح الاسلام - بدأ قبل الاستعمال المسيحي .
ولم يظهر الفسوق بين هذين الاستعماليين بوضوح اللهم الا ان

(١) الصدر نفسه ص ٢٣ . ٨٠ (٢) - ص ٤٠ . (٣) - ص ٥٠ .
(٤) ص ١١ (٤٤٠) - (٥) - ص ٢٠٢ . ٨٠ (٦) - ص ٤٠ .
(٧) ص ٨٠ .

نورة المختار . وكان هذا الاستعمال الاول يقال لي معروض
مدح شخص ما بمعنى انه كان يسير دائما في الطريق المستقيم
الذي يرضيه الله ودينه . فهو لذلك لقب تعظيم لا يخلو
من الطابع السديقي . ولكن دون ان يكون له معنى مسيحيا .
وهذه اضافة (x) على هذا الاستعمال الذي تفننى بين الملحنين -
سيما النصارى - خصوصا في العصر الاموي .

فهذا جدير بمدح به النبي ابراهيم .

ابونا ابو اسحاق يجمع بيننا اب كان مَهْدِيَا نبيا طاهرا (١)

وهذا حسان بن ثابت في رثاء للنبي محمد بمدحه به :

ما بال منك لا تنام كأنما كملت ما فيها بكل الأبد
جرتا على المهدي اصبح ثامنا يا خير من وطئ الحصى لا تبعث (٢)

ونظرا عن النبي انه مدح به علي بن ابي طالب :

اذ انه قال في معروض تبيان لآقدار الذين قُدِّر لهم ان يخلقوا
" وان تؤمروا عليا ولا اراكم فاعلمين تجددوه هاديا مَهْدِيَا يأخذ
بكم الصراط المستقيم " . (٣) ومدحت به الاوساط السنية جميع

الخطاة الراشدين . بل وكل من سار سيرتهم : " وفي الحفوت
سنة الخطاة الراشدين المَهْدِيِينَ ... ويهد بالخطاة ايا بكسر

ومصر وثمان ولسا وضوان الله عليهم وان كان عامما لي
كل من سار سيرتهم . (٤) ولما وصلت جميع جهنم التوابين

(١) كتاب النقائض (نشر بستان طبعة ليدن ١٩٠٨ - ١٩٠٩) رقم ١٠٤ بيت ٢١ .

(٢) شيخ دهران حسان بن ثابت الانصاري (نشر عبد الرحمن البزوني مصر ١٣٤٢ = ١٩٢٩)

(٣) ابن الأثير . اسد الغابة في معرفة الصحابة (طبعة مصر ١٢٨٦ هـ) ص ٣١ .

(٤) ابن منظور . لسان العرب ج ٢٠ ص ٢٢٩ .

(x) استعنا في الوصول الى بعض هذه الاستعمالات بكتاب العنسيه والشريعة .

في الاسلام ص ٣٤٠ - ٣٤٢ .

الى قبر الحسين ابتدل شيخهم - سليمان بن صرد - الى
الله قائلا : * اللهم ارحم حبيبا الشهيد ابن الشهيد
المهدي بن المهدي الصديق بن الصديق . * (١)

وعقب ثورة المختار تفشى هذا الاستمطال - الى
جانبا الاستمطال المسيحي - بصورة واسعة . فهذا الحجاج
بن يوسف ه وقد جاء الى الحجاز نعي الخليفة الاموي
عبد الملك بن مروان ه برتبة بقوله * كان والله البائل الذكر
وابدا من الولا الراشدين المهديين . * (٢) ومدح جليل
الخليفة سليمان بن عبد الملك بقوله :

سليمان المبارك قد علمتم هو المهدي قد وضع السيل (٣)

وذكر المسعودي (٤) ان سليمان هذا لب
بالمهدي * لما احدث من قطع ما كان على المنبر ومعه
السي عمر بن عبد العزيز . *

والظاهر ان الذين مدحوا عمر بن عبد العزيز
بلفب المهدي عنوا اكبر ما نحن بصدد ه نعني فنوا المعنى
"المسيحي" لهذه الكلمة (٥) ما اضطر الاحاديث المتأخرة
ان ترفض مدعيه رفضا باتا (٦)

- (١) الطبري ه تاريخ الرسل والملوك ه الجلة الثانية ه ص ٥٤٦ .
- (٢) البغوي ه تاريخ ه ج ١ ه ص ٣٣١ .
- (٣) ديوان جبير (طبعة القاهرة سنة ١٣١٣ هـ) ج ٢ ه ص ٤٥ .
- (٤) التقييه والاشراف ه ص ٣٥٥ .
- (٥) راجع : ابن سعد ه كتاب الطبقات الكبير ه ج ٥ ه ص ٢٤٥ .
- (٦) راجع الطهراني ه الهدى والتاريخ ه ج ٢ ه ص ١٨٢ . القرطبي ه
التذكرة ه ص ٢٢٩

وفي العصر العباسي احتفظ هذا الاستحوا بعركه .
فصنعت اعلى الخليفة العباسي الاول - ابو الحارث السفاح - عرش
الخلافة مدحه احداهم بقوله :

اصبح الطن ثابت الآساس بالبذليل من بني العباس
يا امير الطهورين من الوجيــــــــــــــــس يا رأس مفتي كي رأس
انت مددي هائم ومواكــــــــــــــــم افان يـجـوك بـمـد اباس (١)

وفي سنة ٥٢٦ - ١١٤٠ مدح ابن التعاويذ
الخليفة العباسي الناصر بهذا اللقب . وعبر عن هذه اجابته
به بأنه رأى في خلافة ما يهني عن انتظار المدد :

انت الامام الممدى لبر لنا امام حق سواك ينتظر
تبدو لابصارنا خلافا لأن يزعم ان الامام منتظر (٢)

ما تقدم نرى ان كلمة " ممدى " استعملت قبل
المختار ومعه بطور غير مفهومها المسيحي . فهل يا ترى علو
المفهوم الثاني عن الاول . كما يزعم فان قلوتن (٣) ؟
كان هذا ما حدث . عندما اراد من اراد نقل فكرة " المسيح " .
او " المخلد " الى العربية . لم يجد الفصل من استعمال هذه
الكلمة التي سبق واستعملت في معنى نسيب من هذا المعنى .
والآن وبعد ان قطعنا ان اسلام بقرانه ونسبه لم

(١) البغوي . تاريخ ج ٢ ص ٤٣١ .

(٢) ديوانه (نشر مجليات . طبعة مصر ١٩٠٣) ص ١٥٨ .

(٣) السيادة العربية ص ١٢١ .

بذكرا فطريا هذه الفكرة . علينا ان نمود لجابطة السؤال
الذى طرحناه سابقا : من اين جاء المختار بفكرة الهدى
هذه ؟ هل كان هو اهل من ادخلها حوزة الفكر الاصلاحي ؟
نحن ننتك في ذلك كثيرا . بل نعتقد ان الفكرة كانت معروفة
عند المسلمين قبل ان يستعملها المختار . ونقول ذلك لسببين
الاول . ان تصرف الناس حبال دمرة المختار لهدية ابن الحنفية
يبدل على انهم كانوا على علم بهذه الفكرة . الثاني . ان
الناس كانوا ضحيي الثقة بالمختار . لولا انه طلع عليهم بفكرة
كهنه لما صدقه احد سوا الاشراي . بل لهاجموها . ونحن
لا نعلم ان احدا فعل ذلك . بل ان الناس هربوا الى ابن
الحنفية يستغيثون من صفة دمرى مديته . واذا لم يكن
المختار هو الذي ادخل هذه الفكرة في ادخلها ؟ عبد الله
بن سبأ . او تلاميذه ؟ لسنا نعدى لعدم وجود اي دليل
يعدم احدي هذه الافتراضات .

وما دمتا قد قلنا في معرفة الذي ادخل
هذه الفكرة . فلنحاول ان نعين . على وجه التقريب . للفترة
التي دخلت فيها . والظروى التي صاحبت على ذلك .

يخل جولد تصير ان فكرة الهدى خرجت
من الامال الصامتة التي كانت تجيش لهما صدور الانبياء^(x)
الساخطين على الحكم الاسوى والذين اخذوا - بعد فشلهم

(x) كما نتوقع ان يتابع جولد تصير قصة تطور فكرة الهدى في
اوساط الانبياء . - الموليين فيا بعد - ولكنه لسو الحظ لم يفعل .

الظاهر - يعتقدون ان علي المز ان يضع رجاءه في الله الذي
 سبحانه يوما ما العالم الملقى بالطلم والآثام^(١) وقيل يولد من
 " ان من المحتق جدا ان الفشل الظاهر الذي اصاب السلطة
 الاسلامية في توطيد اركان العدل والنظام على زمن دولة
 الامويين (٤١ - ١٣٢ هـ) كان من الاسباب لتدهور فكرة الهدى
 آخر الزمان " ^(٢) وهذا يعود بنا الى موضع تكلفنا منه كثيرا
 مسألة معاوضة الخلافة الاموية - سيما نوحا من هذه
 المعاوضة الاتقاء والزهاد عموما - والشيعة .

وستتكم الآن من مقصدي هذه المعاوضة على
 اعتبار المكان الذي تركزت فيه قوتها : العراق . ففي هذا القطر
 تفشى التشيع لعلي وآل بيته - ونبه تجلى الميل الزهدي بعيد
 الفتح الاسلامي وفي صدر الخلافة الاموية^(٣) ولقد ضاعف
 من اسباب استياء هذه العناصر السياسية التي انتجتها
 الامويون في معاملة اهل العراق - ان اتبعوا معهم سياسة قسوة
 وقف لم يتبعوها مطلقا في سوريا - ما جعل العراقيين يعتقدون
 ان حكمهم هو قسطنطيني على الصفاق - وشجبوا بذكر علي
 واصبحوا ينظرون اليه كأنه بطل عراقي^(٤) ومن مدن العراق
 نستطيع ان نذكر الكوفة - بتركيز عناصر المعارضة والثورة . ولقد
 سبق لعلي ان بالغ في مدح هذه المدينة^(٥) . والواقع ان

(١) العقيدة والشيعة في الاسلام - ص ٧٤ .

(٢) عقيدة الشيعة - ص ٢٣١ .

(٣) جولد تسيبر - العقيدة والشيعة في الاسلام - ص ١٣٠ .

(٤) Della Vida, Encyc. of Islam, Vol. IV, art. UMAYYADS
 P. 1000

(٥) راجع : ابن الفقيه - كتاب البلدان - ص ١٦٦ - ١٦٧ - ١٦٨ .

عناصر الثورة كانت كاملة النمو في هذه المدينة التي عرف المختار
الداهية كنهه ينتخبها دون سواها . وفاكم ما ينقله بينارد لهرس
عن ظروف الكوفة آنذاك : " ولقد بدأت الثورة في الكوفة وهي
مدينة هبأتها الظروف لتكون مصدرا لعنل هذه الحركة ومستقلا
لها . فقد كانت مدينة جديدة آخذة في التوسع . يسكنها اطم
من مذاهب واجناس لا تحصى . كلهم مضطرب مستاء بكسره
الديكومة وانماذهب الذي تشله والطبقة الظالمة التي توبدها .
وهكذا كانت الكوفة حينما بدأ المختار يهدا ثورته . كانت
مريتا لحركات مختلفة مصطبغة بفكرة ظهور المصيح . فبهدا
احداث ثورة اجتماعية .^(١) فبينارد لويس اذا يعتقد ان لكوبة
المهدهية كانت معروفة في الاوساط الكوفية قبل ان يبدأ ثورته .
ولقد سبته الى هذا الاعتقاد فان فلويس^(٢) . ونحس ايضا بهللاجد
نميل الى هذا الاعتقاد . فمن الواضح ان اناسا كاهل الكوفة
كانوا في حاجة الى حاكم التي يحكمهم . لان احدا من الحكام
البنصر لم يحجبهم . ومنذ وقت مبكر جدا تجيم بهم عمر بن الخطاب
فائلا : " افضل بي اهل الكوفة ما يرضون اميرا " .^(٣)
واقوال كالتني بنسبوندها الى عبد الله بن عمر انه قالدها .
كولده " يا اهل الكوفة انتم اسعد الناس بالهدى " .^(٤)
تمطينا صورة من ما كان يدور بين اهل الكوفة من احاديث
حول ظهور الحاكم المصيح الالهي : المهدي . في يقة الكوفة

(١) اصول الاصلية . ص ٨٧ - ٨٨ .

(٢) السيادة العربية . ص ٩٦ - ١٠٢ .

(٣) ابن دهر . كتاب الاستقاي . ص ١١٠ .

(٤) ابن الفقيه . كتاب البلدان . ص ١٦٤ .

هذه كانت تسترد بين الناس احاديث الهدى هذا وظهوره .
ولما اراد المختار ان يحرك جموع الكوفة للشورى ضد الحكام
من جهة ، والخلافة من جهة اخرى ، لم يجد الى
دلت وسيلة خيرا من تحريكهم باسم ذلك الذى كانوا ينتشرونه
ليل يمار ، الهدى .

والآن - بعد ان قطعنا في ان فكرة الهدى
دخلت على الاسلام بعد عصر النبي - نستطيع ان نفصل
انها دخلت في تلك الفترة العصيبة التي بدأت بالشورى
على عثمان ، ثم تركز الايمان فيها في مدبة الكوفة .
ولكن من اين جاءت فكرة الهدى هذه الى الاسلام ؟
اما المؤرخون المسلمون الاندون لم يتعرضوا قط لها لهذا
السؤال لانهم - كما يظهر - لم يشكوا في صحة نسبتها
الى النبي . ونحن نستطيع ان نلمح يد من تلاهم
باعتناء ابن خلدون الذى سنأتي على آرائه ، بخصم
هذه الفكرة ، نجا بعد .

اما المؤرخون الحديثون فلم يختلفوا شيئا
بينهم على مصدر هذه الفكرة ، مع انهم مجمعون - باقتطاع
طالعين - على انها غريبة عن الاسلام . ولقد لاحظ برنارد
لوس هذا الاختلاف ، فقال : " وقد نسبت هذه المفيدة
الى اصول مخططة : فدارمتر بنسبها الى اصل عربي
ينقل جلا بها الى الاسلام جاهل من العرب لم يكتل
اسلامهم حصلوا معهم الفكرة الآرية النافذة بوجود اسرة ذات
نساء الاهية تتوارث نور الله (نيزدان) من جيل الى جيل

حتى تنجب أخيراً (ما اؤثت) أو المسي . وقد انتقلت هذه
الفكرة إلى أسرة النبي وشذروا على . وسنوك بنسبها إلى
أصل مسيحي مبني على فكرة عبادة عيسى المسيح وتذابة العالم .
أما يهودي فيتابع دارمستر وهذهب إلى أبعد منه إذ يحو الآراء
الدالة إلى دعاية متونة مقصودة . ونجد ماسنيون أخيراً يرجع
بفكره المهدى إلى الإسلام فيقول انهما نشأت من القرآن
وتقاليد المسلمين ومن القصر النسبية العربية . وانتعشت بتأثير
الأحوال الاجتماعية .^(١) ونضيف إلى هذه الآراء الثقافية
التي جمعها لويس راي ما جوليوت^(٢) وجوليد تسيهر^(٣) اللذان
يعتقدان أن الفكرة التي كانت سائدة من جمعة (إلبا) هي
النموذج الأول للمهدى الإسلامي . وراي فان فليش^(٤) الذي
بنسبها إلى واضعهم يهود أو نصارى من بين السذين
اعتنقوا الإسلام .

وفي معرض دراستنا لهذه الآراء نبدأ برأي ماسنيون
الذي اتبع سبيلاً غير الذي اتبعه البقية . فهو لا يعتقد
ما يعتقد الآخرون من أن الفكرة جاءت إلى الإسلام من
الاديان الأخرى . بل يذهب إلى انهما " نشأت من القرآن
وتقاليد المسلمين ومن القصر الشعبية ... " ونحن لا نعتقد
بصفة رايه . فهذه المسائل التي ذكرها على انهما المصدر

(١) أصل الاسطيلبية . ص ٨٥ - ٨٦ .

(٢) Encyc. of Rel. & Eth. Vol. VIII, art. MAHDI p. 336

(٣) العنيدة والنسبة في الإسلام . ص ١١٢ .

(٤) السيادة العربية . ص ١١١ - ١١٢ .

الذى نشأت عنه فكرة المهدية ، لم يكن سوى المواصل التي
مساعدت علي (١) تفصيل العقيدة الاسلامية لها ، كما ساعدت
ليما بعد علي (٢) تطويرها ، و (٣) دخولها في حيرة السترات
الاخري الاسلامي ، وهذه مسائل ستفهم لنا مع التفسير
من التفصيل ليما بعد .

اما بخصوص ما تبني من المؤرخين فانهم يعتقدون ان اصول
هذه الفكرة ترجع الى احد الادبائ الثلاثة : المجهدي ، البهدي ، والنصائي .
ومع اننا نرجح هذا الرأي ، غير اننا لا نستطيع ان نحكم من اي هذه الادبائ الثلاثة
جاءت الفكرة الى الاسلام . وذلك لان هذه الفكرة كانت متجذبة آنذاك بين
مكان العالم الذي اصبح فيما بعد العالم الاسلامي . اسلم الكيرون من
كانوا مجوسا او يهودا او نصاري ... فدخلت الفكرة معهم الى الاسلام وانفذت
لنفسها اسما عربيا وطابعا اسلاميا ، ولتبت غير ذات خطو الى ان عرف ذلك
الداعية المغامر ، المختار ، كيف يستغلها . ومنذ ذلك الوقت اصبحت قوة لها
خطرها في تاريخ الاسلام السياسي ، ثم الديني .

و نحن لا نعتقد ان نفيل ان فكرة المغامر هذه كانت قديمة
او يهودية او نصرانية ، لقد كانت اكبر من ذلك واعم ، انها تراث وراثته العصور
الوسيطة من العصور القديمة . وهي اكبر من ظاهرة دينية ، فهي ظاهرة
انسانية ذات علاقة متينة جدا مع طبيعة الجنس البشري وعقله . انها خير تعبير
عن عجز الانساني امام قو الطبيعة من جهة ، وامام اخيه الانسان (سببا
الماكم) من جهة اخرى .

وتقبل ان نستعمل في تتبع تطور هذه الفكرة كما نهدا
المسيح الاسلامي ، علينا ان نرجع النشأ لتذكر شيئا بسيطاً عن ماهية هذه الفكرة
ومنشأها وتطورها عند مختلف الامم قبل ان تصل الى عالم الاسلام .

(((الفصل الثاني)))

(x) منشا فكرة العظمى (المسيح)

مصدر مفرد الفكرة : -

يذهب برمستد الى ان فكرة المصحح ظهرت
لاول مرة في التاريخ في مصر . واول من نادى بهذا المصحح
اسمه (ابيير) بصفه برمستد ثابة بانه * نبي حكيم * (١) .
وثابة اخرى بانه * نبي اجتماعي * (٢) . والواقع انه جدير بدائين
الصفتين . فان هذا الشاعر في فترة عصية جدا من تاريخ
مصر . تلك الفترة التي اخذت فيها السلطة تتنقل من النبل
الى الجنوي . الى مدينة (طيبة) . تلك الفترة التي شهدت
انتقال مصر من * المملكة القديمة * الى * عصر الانقسام * (٣)

ولم يكن ابيويز اول من تسير بأوضاع زميله .
 ان سبعة اثار كسيريون مثل ممانثروب واسقف هليوبولس ، و
 تسيرهم بعده كسيريون مثل انتميت الاول (ذلك الفهرست الذي
 أس الاسرة الثانية سنة ٢٠٠٠ ق م . وكان
 مثال الحاكم الصالح . ولكن بعض الذين احسن اليهم من
 رجال حاشيته حاولوا ان يقتلوه . فقام من الناس والحيلة
 تشاوما منبرا (١) وخيخيري - سوني الذي كانت كتابته
 الادبية ملهقة بالتشاور والتسير بالحيلة : انهما نوة علمي

A History of Egypt, p. 204. (1)
(2)

The Dawn of Conscience, p. 194.

Breasted, Dev. of Relig. & Th. In Ancient Egypt, (r)
p. 210. " " " " " " (i)

(x) للاطلاع على الآراء العضوية حول قدم هذه الفكرة - راجع : P. 202-3.

C. W. Emmet, Encyc. of Rel. & Eth., Vol.VIII,
art. MESSIAH, p. 574-5.

الظلم الاجتماعي (١)

ونحن اذا عزمنا تشريح ابيور والذين سبوا الى الظروف السيئة التي كانت تجتاح مصر . فاننا لا نستطيع ان نفعل ذلك بخصوص الذين اتوا بعده واثروا في ظل حكم السلالة الثانية عشرة . تلك السلالة التي تقدمت مصر في ظلها بفجاء لا عهد لها به . ملكة مركزية قوية . وحدود ثابتة مسونة . وقوميات وفروات في الجنوب والشرق . وفي عهدها اتسمت الاعمال في الخارج الشرقية سيما ملجى الذهب في بلاد النوبة . وفي الاتصال التجاري مع الواحات . واتسمت التجارة مع النوبة وسوها وابل والجزر الابجية . وبالخلاصة نقول ان الحضارة في هذا العصر عمت مصر تماما . ولم يكن هذا الادب الاجتماعي الذي نحن بصدد الا احد مظاهر هذه الحضارة (٢) ومع ذلك فقد انتشر الادب التشعومي في هذا العصر انتشارا لا حد له . ذلك الادب الذي كانت فكرة ظهور (الضلم) ملازمة له .

ونحن لا نستغرب ذلك اذا تلوينا حيلة واحدة وهي ان تدمر الانسان بالدين وتطليه للمعادلة الاجتماعية لا يحل على مؤ الاوضاع الاجتماعية بقدر ما يحل على ارتقاء المجتمع ودقة في الانسان .

فازدهار الحياة وتوسع الاعمال والتمائم والاسلاب

(١) Breasted, Dev. of Relig. & Th. In Ancient Egypt, p. 199-202.
(٢) Breasted, A History of Egypt, p. 157-208.

التي كانت تدور على مصر في عصر الاقلام اعظم الثورات
 لم توجع على الشعب - طبعا - بنسبة متساوية ، فانتسج
 الغني ذو الغنى الفاضح ، والنحر العادي الذي ينفي
 على ما كان عليه ، او لنقل انه استناد قهلا من
 الظروف الجديدة . ومن الطبيعي ان ينظر هذا
 الى ذاك نظره حميد . لذلك لفت يطلعي بالمعالة
 الاجتماعية . البحث هذه الظروف نفسها هي التي حددت
 السبل لانتشار فكرة الهدوء في العصر الاسوي^(١) ويطا
 يكن من امر فقد وصف برمسند هذا العصر بأنه
 فجر ظهور الوعي الاجتماعي الثماني^(٢) ، ونذكر
 نستطيع ان نقول ان ظهور فكرة الهدوء في الاسلام
 كان فجر ظهور الوعي الاجتماعي في العصور الاسلامية .
 ذلك الوعي الذي زرع بذوره النبي .

والآن لنعد الى ابوبير^(٣) ، اول من نادى
 بفكرة ظهور المظلم ، وهو على رأس الملوك الذين - رغم
 تمسكهم بسوء الاوضاع في مصر - تنبوا بقرب الفرج
 على يد هذا الحاكم الآلهي .

يبدأ هذا السامر كلامه بوصف المساوي*
 التي كانت عليها دنيا تلك الياهم في مصر ، ليجدل
 الحكومة مي* معطل ، ولا احد يلتفت الى الفوائين*
 بل انبعا تنهدك علينا . وهكذا يمر في وصف تلك
 الظروف بمهارات قوة جدا^(٤) ، حقا ، الموظفون يذبحون .

p.199,

Def. of Relig. & Th. In Ancient Egypt, 202 (١)

Dev. of Relig. & Th. : ما نحن نلخص ما ورد في (٢)

In Ancient Egypt, p.203-16.

راجع ايضا لدرامسة^(٣) , The Dawn of Conscience,

p. 194 - 200.

A History of Egypt, p.204-5.

ومجلاتهم تذهب . ويضي من غسق هذا الزمن .
 " انظر كيف يذبح الانسان بنفسه اخيه ، بينما هو (الاخ)
 بتركه لينجو بنفسه . " الرجل يمد يده مدوا له .
 " يذهب الرجل لبحر ارضه وهو يحمل ترسه " الدم
 في كل مكان ... " انظر كيف ان شريعة من المؤمنين
 يحاولون حرمان البلاد من الملكية ... ثم يتكلم عن تعرض
 البلاد لخارات الغزاة الاجانب ، وكيف ان الاغريب يستغلون
 البلاد . " انظر ، جميع اصحاب الصنع ، انهم لا يشتغلون
 ان اعداء البلاد قتلوا عتاقاتهم . انظر ، ان الذي
 يحصد الزرع لا يهدي منه شيئا ، والذي لم يحرث يملأ
 مخازنه ... والبلاد تعاني ازمة نقص في المواد الغذائية
 والالبسة : " لقد حرم النار من اللؤلؤ واللوايح والسدود
 والكل يقل لا يوجد . المذنب فارغ ، وحارسه مسطى
 على الارض " وهكذا يسير هذا الشاصر في وصفه لمر
 الحالة آنذاك ، فالتجارة مع الخارج ممتدة ، والنهب والمزقات
 تسيء بالوف ، الابنية تذهب وتدمر ، حتى الاهرامات والسجون
 لم تسلم من ذلك ، ولا احد يدين موته في النجوى .
 بل انهم يرمون في النهر ، لقد افقنى النهر ، وانظر
 الغني ، وتدهورت الاخلاق وضعف الايمان بالدين ، وهكذا
 اصبح الوضع لا يطاق ، حتى انه " حقا ، الكبير والحكيم
 يقل ، ليتني اموت ، والاطفال الضغار يقولون ليتنا لم
 نولد " .

بعد ان ايوبر لا يترك النار اسارى للمخلوق
 التي اثارها في نفوسهم ، بل انه دعاهم الى العمل ، الى

محاينة اعداء البسلام .

ومعد ذلك ينتقل الى فكرة محمدها
 برستد لا اهم ما ورد في مقالته فحسب ، بل اهم ما
 ورد في جميع الادب المصري على الاساق - انما نبوة
 بجبي " المظلم " . فهو في هذه الفقرة يشير بجبي
 الحاكم التالي الذي يلتهم شوقا الى ظهوره ، والذي
 يقول في وصفه : " انه يجرد الذهب . فقال انه
 راع لجميع الناس . لا يوجد في قلبه سر . وعندما
 نفل قطمانه ، بقي يومه في لم شطوا ، فلوها مضطربة .
 لبته ادرك (فطن الى) خلفها في الجبل الاول (x) . اذا
 لكان قضي على السر . ولكن مد ذراعه دونه . وكان
 قضي على ظهوره وشطوا . . . ابن هو السيم ؟ امين
 الممكن ان يكون نائبا ؟ انظر ، نفوته غير مربة . * واليوم
 من عدم وجود عنصر تنبؤ له صحيح في هذه الفقرة فان
 برستد يستنتج من سياق الكلام انما تنبأ بظهور الحاكم
 التالي ، المسيح ، وفعل مؤكدا ، " هذه هي " .
 المسيحية " قبل ظهورها بين المصريين بألف وخمسة
 مئة . . (1)

والآن سنتكلم عن متني آخر (نيليرهو)
 لا تختلف نبوته عن نبوة سابغه الا في مسألة طسلفة ،
 ولكنها بالنسبة لنا ذات اهمية . فمعد عبارات تصف سوا
 حال تلك الانبياء وصف مؤثرا ، ينتقل الى نبوته بظهور

(1) Dev. of Relig. & Th. In Ancient Egypt, p. 212

(x) يقول برستد ان لكاهن الحاكم التالي هذه هي الاصى لذكيات حكم

الاله (راع) ، والتمصر الخرافي ، Dev. of Relig. & Th. In Ancient Egypt, p. 211, 251. The Dawn of Conscience, p. 219.

الملك الذي مسبقه البلاد من آفاتها . " مسبق
ملك يأتي من الجنوب اسمه (امهي) . وهو ابن
لامرة من النبوة . ولدت في مصر العليا . مسبق
التاج الابيض ، ولبس التاج الاحمر . ليوجد الناجسين . يهلع
بين البلادين (مصر) حسب رغبتهم ...
" مسعود الهندي الى مكانه . والخلال سيطرد . فلينبط
كل من يراه . وكل من يخدم الملك ."

والهم لي هذه النبوة - وهو اختلافا
عن نبوة ابيوهر - هو ذكر اسم هذا المخلص . ومما
هو جدير بالذكر ان كلمة (امهي) هي تلغيم شائع
معروف باسم الفريسيون انتميت الاول مؤسس السلالة
الثانية عشرة . والجندد لقوة مصر ووجدتها في مصر
الافطاع (حوالي سنة ٢٠٠٠ ق م) . فاذا صح احتمال برستد
ان هذه النبوة خطها هذا الشاعر من الجنوب الى
الشاطئ في الوقت الذي كان يستعد فيه انتميت الاول
لاحتلال الشاطئ كدعاية له . فنقول اذا صح هذا
الاحتمال فان هذا الحادث عظيم الشبه بما فعله دعابة
العباسيين من التبشير بظهور المهدي من المشرق .
وتكمل هذه الفقرة اذا علمنا ان هذه القطعة الادبية
نسبت - عمداً - الى عصور قديمة . فليل انما الهت
في حضرة الفريسيون (منقذ) - اي قبل عصرها العربي
بالسنة . الم يضح العباسيون نبواتهم بظهور المهدي
على لسان النبي ؟

وهكذا سارت هذه النبوءات بظهور المخلص

وم بين الناس ادب الشكوى والتسليم بالاضلاع الاجتماعية .
 فها من ما تضمنت به مصر في عصر الاقطاع - كما بينا
 سابقا - من رخاء ورفاهية . يؤكد برستد ^(١) ان الكثرين
 من ذائعة عصر الاقطاع تأثروا كثيرا بهذه النبوءات فاصلدوا
 حكوماتهم وانفسهم حسب ما تتطلبه من الحاكم المثالي .
 فها هذا يشبه ما فعله نبيما بعد عمر بن عبد العزيز ،
 والخليفة المهدى (ولو بصورة مسوغة) ؟

وهذا يكن من امر فان الكار المثالبه
 الاجتماعية هذه التي جاء بها الانبياء الاجتماعيين المصرون
 فبلى ان تولد الامم المبرانية بأكثر من الف سنة - انتشرت
 كثيرا في مصر ومنها انتقلت الى الوطن العربي .
 تأخذها النبطيون والكنعانيون ه ونهم انتقلت الى المبرانيين
 حيث نادى بها انبياءهم . وهكذا ظلال الكار - المسيحية -
 التي ناء بها انبياء اليهود ه بضامة صرية ه شكلا
 وموضوعا . وغبف برستد الى هذا فله ان هذا
 الادب الاجتماعي المصري بقي متداول حتى المصور
 النصرانية الاولى . ^(٢)

الفكرة في المهد القديم -

بعد استعراض ^(٣) ثلاثة المهد القديم

(١) The Dawn of Conscience, p. 208 - 216

(٢) A History of Egypt, p. 205. Dev. of

Relig. & Eth. In Ancient Egypt, p.215 - 6. The

Dawn of Conscience p. 362 - 4

Encyc. of Rel. & Eth., vol.VIII, art.

Messiah, p. 570 - 5.

(٣)

بالفكرة . يستنتج م . و . امت (ص ٥٧٤) ان فكرة
انتظار اليهود للمسيح تحدث مكانا ثانويا . فالمسبب لم
يذكر حتي في الكتابات المتعلقة بالحشر . فالمعسلم
اولا وآخرها هو (يهو) . على ان هناك إشارات
معددة للأمال التي كان يعتقد بها اليهود على اسيرة
داود : وهو يدل ذلك بأن اليهود - أثناء تدهورهم -
أخذوا ينظرون نظرية مثالية الى هذه الاسيرة التي أصبحت
تصورها في نظريتهم " العصر الذهبي " الذي تمسوا وجمعت
على يد مبعوث من لدن يهو .

وغما عن خلو (اولئك) ذكر الاماني
المسيحية في الكتابات الدينية ذات الشأن الربيع . لقد
انتشر هذا الايمان بين عامة الشعب انتشارا كبيرا . وكان
هذا الايمان يظهر ويختفي بصورة غريبة .

تطور الفكرة بعد المولد القديم (١) .

ثم ظهر السيد المسيح قامن به من
آمن وكفر من كفر . وانتشرت فكرة المسيح في المولد
الجديد . سيما في الاناجيل .

وبعد ظهوره تويت الفكرة كثيرا عند
اليهود . سيما في القرن الاول المسيحي . وكما ذكرنا
املاه بنيت بالدرجة الاولى عنصرا هاما جدا في ديانة

قامت الشعب . ثم اخذت شيئا فشيئا تدخل حميرة قلعة
الخنزر (x) . حتى عم الاعتقاد بهذا . والبند الثاني
عشر من (قانون الايمان) اليهودي كما وضعه موسى بن
ميخون . يذكر ما يلي : " اعتقد بايمان كامل بمسيح
المسيح . ومع انه يتأخر . سأنتصر مجيئه يوما . "

(١) التمسحون -

منذ السقوط النهائي للدولة اليهودية حتى
اجيال قريبة لم ينقطع ظهور التمسحين اليهود السذج لحدوا
على قلوبهم ارجاع الشعب اليهودي الى الارض التي نفي
فيها لاجدادهم . وعصب ظهورهم - سيما التدامي منهم -
نيام ثورات . وكثير ظهور هؤلاء التمسحين خصوصا في
الازمنة والامكنة التي اعتقد فيها اظهور اليهود . ولقد
كانت حركاتهم - سيما المتأخرين منهم - ذات طبيعة سياسية
وهذا لا يعني عدم وجود الحافز الديني . هذا وسببت
هذه الحركات في بعض المناسبات . نيام فرق يهودية
لوجديده . ومع ان بعض التمسحين حمل لقب المسيح .
من تلقاء نفسه . ولم البعض الآخر هذا اللقب . ولكن
اتباعه البسوه اياه فيما هم . والكثيرون من هؤلاء لم
يسمعوا انهم المسيح . انما ادعوا فقط انهم المهديون له .

(١) مقدمة من Albert M. Hyamson, Encyc. of Rel. & E th., Vol. VIII, art. MESSIAHS (PSEUDO-) p. 581 - 8.

(x) ولقد تأثرت انتاء ذلك (عند اليهود) بخرافات كنية وانكار من ذات
الطابع . فارسية وبابلية .

كثير ظهور هؤلاء المتصحين في القرن المسيحي

الاول . ثم استمر في العصور التالية . ولما جاء الاسلام
اخذ يتهدر هذا التمسح او ذاك بين النيسة والآخرى في
الغرب المسيحي والشرق الاسلامي : في روما والاندلس .
وتركيا وفلسطين وشمال افريقيا . . . او كانوا ينتقلون بينها .
وما لا شك فيه انه كان لظهور هؤلاء المتصحين انرا
قويا في صفوف المتطهدين المسلمين . والشبه القوي بين
هؤلاء وأولئك يدعم ما نقوله : لمعظم هؤلاء المتصحين
كان في الانتساب الى اسيرة داود . كما ادعى المتطهدون
الانتساب الى عائلة النبي . وكلهم كان يحرك اليهود
بحجة انهم اهلهم المنشود : الرجوع الى ارض الميعاد .
كما ادعى المتطهدون انالذ المؤمنين الى ما كانوا يصيرون
السبه من حكم يوضي الله ونبيه . ومعظم المتصحين
كان يدعي على الخوارق كما ادعاهما بعض المتطهدين .
او نسبها اليهم اتباعهم .

وهكذا استمر سيل ظهور المتصحين .
والى جانبهم سيل المتطهدين . وذكر هابامسون (ص ١٦٦)
ان آخر نقص ذي خطر كان بعنوب ليراندك (١٢٢٦ - ١٢٩١)
ومعه لم تعد جمهرة اليهود تؤمن بالمتصحين .

ومستطعم . لولا ضيق الوقت . ان تسمع
ظهور وتطور هذه الفكرة منذ القرن ايضا . ولكننا نكتفي
بالقول ان القوس قد تملأوا بهذه الفكرة وآمنوا بها .
وشهد العصر العباسي ظهور بعض هؤلاء المتصحين القوس

الذين اتخذت حركاتهم طابعاً شمولياً . إذ انهم
كانوا يمتنون اتباعهم - الذين كانوا فارسيين متعصبين
لقوتهم - بوجع الحكم الى الفرس . (١)

وهكذا نرى الاسلام وتطور في بيئات لم
تكن تكتب " المظلم " فيها غيبة . لم تكن هذه الفكرة
تخرج دينا دون آخر ، ولا روما دون آخر . كانت تراثا
ورثته الحوزة الوسيطة عن القديمة ، وهكذا سار القدماء
المسلمون جنباً الى جنب مع المتعصبين من مدرسة الادب
والانقسام . ومما زاد الاجتثاث المثالي (الاحاديث
المهدوية - بلغة الاسرار) جنباً الى جنب مع آداب
الاسم الاخصى التي كانت من ذات الطابع . وقد
لاحظ هذه المسألة نشوان بن سعيد الحميري
(المتوفى سنة ٥٧٣ = ١١٧) فقال هذه المسألة
الدينية الواعية : " المصور لقب لقائم متظفر عند كعب
من الناس . وهو المهدى الذي تدعي كل فرقة منهم
انه مندها . قالت اليهود هو المسيح الدؤوبي بمسند
الذين الاسرائيلي . وقالت النصارى هو المسيح بن مريم
مسيحهم . وقالت الصابئون هو من ولد هرمس (٢) الهراس
اليوناني . وقالت المجوس هو من ولد بهرام جوز الفارسي بعيد الدين
الايد يعنون دينهم . وقالت للشيعة فيه ائوال كثيرة وكل فرقة
تقول هو امامها وقالت حمير في مبرها المأخوذة من علمائها هو رجل
حمير من اهل اليمن بعيد الملك الى حمير بالمدل (٣)

(١) راجع البيروني ، الآثار الباقية ، ص ٢١٠ - ٢١٤ .

(٢) شعر العلوم ، ص ١٠٣ .

(٣) راجع البيروني ، الآثار الباقية ، ص ٢٠٥ - ٢٠٦ . ٢٢٠ .

((القسم الثالث))

*

((الفصل الاول))

الشجعة موما والمهدية

--

والآن هـ بعد ان تتبعنا ظهور هذه الفكرة منذ نشأتها حتى دخولها في صميم الفكر الاسلامي هـ علينا ان نتابع سيرها وتطورها عند مختلف الفرق الاسلامية . ونبل ان تأتي على ذلك نبي من الضروري ان نشير الى تبدل جوهرى اعترى هذه الفكرة في الاوساط الاسلامية ، اما هذا التبدل الذى اقتضته الظروف فهو العزج بين شخصية المهدي المنتظر وفكرة الناس من شخصية النبي .

ذكرنا فيما سبق ان هذه الفكرة دخلت الاسلام من طريق المعارضة السياسية التي اقامتها الطوائف ضد بني امية هـ ولما ان نوعين من المعارضة : الانتقاه مومعا وشجعة علي هـ كان لهما اليد الطولى في دخول هذه الفكرة في الاسلام .

والآن سنبدأ بحثنا في تتبع تطور هذه الفكرة في الاوساط الشيعية هـ بدراسة الانحياز والحركات التي قامت باسم المهدية . وسنظهر اثر ذلك في انقسام الشجعة الى تفرعها الثلاثة الرئيسية :

الزيدية هـ :

هي الفرقة التي التفت حول شخصية زهد بن علي زين العابدين . ولقد كان زهد هذا اول من تار على الحكم الاموي بعد الحسين بن علي . وكان ذلك

في خلافة هشام بن عبد الملك ، أي في وقت كانت فيه فترة الامويين في أوج عظمتها . وصف ابن الطبري زيدا هذا بأنه كان " من عظماء أهل البيت هم ملما وزهدا وورعا وشجاعة ودينا وكريما . وكان دائما يحدث نفسه بالخلافة ويرى أنه أهل لذلك . وما زال هذا المعنى يتكرر في نفسه ويظهر على عادات وجهته وقلبات لسانه حتى كانت أيام هشام بن عبد الملك .^(١) وفي سنة ١٢١ أو ١٢٢ هـ قدم زيد هذا إلى الكوفة . ولما هم بالرجوع إلى المدينة تشبث به أهل الكوفة ومنعوه من ذلك . بل أصروا على مبايعته بالامامة . ومحمد الحجاج شديد قتل يبعثهم . وأعلن أنه المهدي . وأخذ محمد الحجة للقاء الأمويين . ولما بدأت الحرب بينه وبين عامل بني أمية . طلب منه تسليته أن يبدى رأيه في أبي بكر وعمر . فلما أبدى لهم حسن رأيه نهضا . تخلى عنه معظمهم . فساهم بالفضة . وهكذا خذله أنصاره . ولم يبق معه إلا أناس قليلون . فعزاه الأمور وقتلوه . وأخفى أتباعه جثته . غير أن الأمويين تمكنوا من المنزوع عليها . فأخذوها وعملوها في محل يسمى الكاسنة . وتوحيب ابن الطبري لما حل بزهد فتمسك : " رحمه الله وسلم عليه ولعن ظالميه وخاصيه حتى للفرد حتى شهيدا مطلوما .^(٢)

(١) الفخرى ، ص ١٥٦ .

(٢) البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٥ . ابن خلدون ، المقدمة

ص ١١٢ - ١١٨ .

(٣) الفخرى ، ص ١٥٨ .

ولم تكن الاوساط الشيعية بأقل من غيرها
 نشاطاً بزييد هذا ، فزعموا انه قبل ان يخرج مطالباً
 بحقه في الامامة استشار اخاه ابا جعفر (محمد بن
 علي بن الحسين بن علي) في ذلك ، ولكنه اشار
 عليه بعدم الخروج لانفسه ليس الامام ، وتنبأ لسه بسا
 سيحدث فيها بعد من قتله وصلبه بالكافة (١) .
 هذا واتخذ الامويون وانصارهم من عديدة زييد
 موضوع همز ومخزية ، واسبب شعبيتهم من دهشة
 البالغين من ان يرى (عديداً) يصلب على الجذع ،
 طلبنا لكم زييدا على جذع نخلة ولم ار عديداً على الجذع يطلب (٢)

والشاعر ان الامويين تعمدوا ليزر نسر هذا المهدى
 ثم صلبه ميتاً حتى يختموا اتباعه من عدم الاعتراض
 بموته والفنق بانتظاره . وهم ، وان افلحوا في ذلك
 لم يفلحوا في منع قتل مَن تكتل من اتباعه حول
 ذكره . وهكذا تكونت نسبة الزيدية . تلك الفرقة
 التي استطدت اعتقادها في الامامة من شخصية زييد
 وعمله ، لذلك اشترطوا في الامام بالسذجة الاولى
 الخروج لنيل الامامة (٣) . وفي هؤلاء الزيديين مصدور
 قلق للدولة الحاكمة برون الخيوط مع كل من خرج (٤)
 غير ان هذه الفرقة لم تساهل بقية الشيعة في غلوها ،
 بل بنيت اقرب لبق الشيعة التي اهل السنة ، وهي

(١) الكليني ، اصل الكافي ، ص ١٨٩ - ١٩٠ . السمودي ، مرجع

الذهب ، ج ٥ ، ص ٤٦٧ - ٤٦٨ .

(٢) السمودي ، مرجع الذهب ، ج ٥ ، ص ٤٧٠ - ٤٧١ .

(٣) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ١٩٧ - ١٩٨ . (٤) ابن بدويه ، المقادير

الفيد ، ج ١ ، ص ٢٦٩ ، التوحيدي ، في الشيعة ، ص ٥١ .

ما زالت دائبة على تقاليد التشيع السياسي العربي . ولا
تختلف من أهل السنة في المذهب الا قليلا . (١)
اما بخصوص اقتصاد هذه الفترة فكسيرة معددة . فهي
لا يختلفون في ذلك من أهل السنة . في أنهم
لم يحتفدوا - كما فعل باقي الشيعة - بمعددي مدني
او بامام مدني سيظهر .

المباسبين :-

هنا مقدير الحركة المباسبية على انها
نوع من التشيع . مظهرين الدور الرابع الذي لمسه
هو لا . في استقلال الشيعة وانكارهم - خصوصا فكيرة
المعدية - في مسيل وصولهم الى كرسي التكيم .
من المؤكد جدا انه لم يكن باستطاعة بني العباس
ان يتربحوا على كرسي الخلافة لولا تلك المساعدة الفية
التي قدمتها لهم الدولة النجبية السعيدة التي كانت
ابدا تعمل على تفجير الميزن الاموي . ويؤكد ان طوقن (٢)
ان استعمال سلاح المعدية كان احد عناصر ثلاثة هي
سر انتصار المباسبين . اما العنصران الآخران هما
(٢) . الكراهية المتأصلة التي كان يكرها أهل البلاط
الغريبة للقاتحين العرب . (٣) - الشيعة .

(١) برنارد لهر . اعلى الاساطيل . ص ١١٤ .

(٢) السيادة العيبة . ص ٢ . راجع ايضا ص ١٢١ - ١٢٦ .

عرف المباسيين الدهاء فية سلاح الهدية
في وصولهم الى متفاهم . كما عرفوا فية توحيد صفوف
جميع معارضي الخلافة الاموية في صعيد واحد .
فوضعوا لذلك احاديث عديدة فامة جدا . دبت
فيما بعد بأحاديث الاعلام ^(١) . وفي هذه الاحاديث
التي وعد فيها ان يكون الفخر لا كبر قسم ممكن من
احزاب المعارضة . لُقّب المهدي بأنه " من اهل البيت"
او انه " هاشمي " . وهكذا ضمن المباسيين لصفوفهم
جميع . او على الاقل معظم . احزاب المعارضة . كما
استطاعوا حشر انفسهم في زصرة اليهودين بظهور المهدي
من يندس . ولما كان معظم انصار المباسيين من
اهل الشيعي . لذلك بكترت هذه الاحاديث بالخير
الذي سيجي جماعة المؤمنين عندما ينتصر جبر
المنصور هذا الذي سيهدد لظهور المهدي : " من
نوال من رسول الله علم انه قال اذا رأيتم الرايات السود
من قبل خراسان فاستقبلوها مضيا على انذاركم لان
فيها خليفة الله المهدي " ^(٢) . وفي عن النبي
انه قال " يخرج ناس من الشيعي فيوطنون للمهدي " ^(٣) .
وزا انه قال " يكون في آخر الزمان فتنة يحصل الناس
فيها كما يحصل الذهب فلا تسبوا اهل الشام ولكن
سبوا اشهرارهم يوضحك ان يرسل على اهل الشام
صيّب من المطر فيفري جماعتهم حتى لو ناطقهم الثعالب
فلبتهم فعند ذلك يخرج من اهل بيتي من

(١) الطهر المقدسي . الهدى والتاريخ . ج ٢ . ص ١٧٤ .

(٢) ابن خلدون . المقدمة . ص ٢٢٠ .

(٣) راجع : Hurgonje, Vers. Geschriften, vol. I, p. 162 - 3.

ثلاث إربات المكشوفون بهم خمسة عشر ألفا والفيل يقتل
بهم اثنا عشر ألفا ... ورد الله الي المسلمين
الفتحهم ونعمتهم وهما صبتهم وإبهم .^(١) هذه رواية
الطبراني ه اما الحاكم فانه يضيف عليها : ثم يظهر
الواقعي فيرد الله النار الي الفتحهم :^(١) وروا عن
ابن مسعود انه قال : بيننا نحن منذ رسل الله صلعم
اذ انبل فتية من بني هاشم فلما رأهم ذرفت عيناها
وتغير لونه قال ه لعلت ما نزال في وجهك شيئا
نكرهه فقال إنا اهل البيت اخذنا الله لنا الاخيرة على
الدنيا وان اهل بيتي مبلون بعدى بلاء وتشريدا
وتظريدا حتى يأتي قوم من قبل الضيق معهم رايات
سود فبالون الخير فلا يخطونه فيقاتلون ويفسرون فيعطون
ما سألوا فلا يخلونه حتى يدفعوها الي رجل من اهل
بيتي فبلاهما فمطا وهذلا كما ملاهما جورا فمن ادرك
ذلك فليأتهم ولو حبوا على الثلج .^(٢) وروا عن
نومان عن النبي انه قال : يُقْتَلُ منذ كبريكم ثلاثة كلهم
ابن خليفة ثم لا يصير الي واحد منهم ثم تطلمح
الرايات السود من قبل الشرق فيقتلونهم قتلا لم يستلهم قوم
ثم ذكر شيئا لا احفظه قال فاذا رأيتموه فجاهموا ولو حبوا
على الثلج فهو خليفة الله المودى .^(٣)

وفني عن الفيل ان هذه الاحاديث المودية

(١) ابن خلدون ه المقدسة ه ص ٣١٨ .

(٢) = = = = ٣١٢ .

(٣) = = = = ٣٢٠ .

لعبت دورا هائلا في تفويض الميراث الاموي والتمسيد لبناء
العصر العباسي .

وما هو جدير بالذكر ان احاديث الهدي
الدائمي . ذي الاعلام السود . لم تشمل تماما بعد
ان نال العباسيون وطهرهم . ان وجد لهذا المحدثون
عملا آخر : وهكذا أصبح هذا الدائمي واعلامه السود
احد اشراط الساعة . واخذ بذلك مكلفه اللاتي به
بين السفاني والخطابي والتحك والحشم والدجال وأجوي
وماجوج والدخان ونفح الصور ... (٢)

الملوك والحكم العباسي :-

ومعد ان توصل العباسيون الى مبتداهم .
تنكروا للعلويين . وادعوا انهم الورثة الشرعيون لكريمي
الخلافة بحجة ان خلية الامام الهدي محمد بن
الحنفية تنازل لهم من حقه في الخلافة تنازلا رسميا (٣) .
وشعر الملوك . بعد نوات الاوان . بالخدمة التي خدمهم
اياها العباسيون . فلم يرضخوا للامر الواقع الذي وضعهم
امامه العباسيون ... وهكذا اخذوا بناؤهم كما ناوروا من

(١) الطاهر المقدسي . الهدى والتاريخ . ج ٢ . ص ١٧٤ - ١٧٦ .

(٢) = = = = = ١٦٢ .

(٣) النصيحتي . فوق النبعة . ص ٤٢ - ٤٣ . ابن الطقطي . النسخة .

ص ١٦٨ - ١٦٦ . المصمودي . التنبيه والاشراف . ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

المحفوظي . تاريخ . ج ٢ . ص ٢٥٦ - ٢٥٨ .

فبهدم الامويين مدعين انهم • ملهم • لبسوا خلطاء شريين
بحق لهم ان يلوا النبي في تدبير شؤون المسلمين •
استمر الشبهة في حريقهم ضد هذه الخلافة الجديدة •
متسلمين بملاحقتهم المهدود • الدعاية السخية الدمامة •
ولقد برهن العباسيون انهم اكثر تقديرًا لخطر هذه الدعاية
من سابقهم الامويين • ولا غرو في ذلك • ان سبق لهم
وساموا يوما ما مع هؤلاء العلويين في دعائهم • وهم
لذلك ادبى الناس بأصراخ هذه الدعاية • واخطارها •
فلم ينصروا محاربتهم للعلويين • كما فعل الامويون • على
اسلحة اللفظ والحين والتشديد والقتل • بل جنبها الى
جنب مع ذلك امتنعوا اسلحة الدعاية • سيما الدعاية
المهدوية • والآن • لنهتكم بنوعي هذه الاسلحة التي امتنعوا
العباسيون ضد العلويين • كل على حدة •

سلاح الدعاية •

اخذ العباسيون يرمون انهم • بعد انتقال
الخلافة اليهم • استردوا حقوق اهل البيت المضمومة •
ووضعوا على لسان النبي نبوءات تدعم ذلك • فؤسس
الدولة العباسية هو المنفذ الذي وعد به النبي •
لذلك حمل لقب المهدي ^(١) • غير ان لقب " السلاح " •
تخلب عليه • وساعد في نفوس مركز الخلافة العباسية
انضمام قسم كبير من الكمالية الى صفوف مؤازريها •

(١) المهدى • الخليفة والاشراف • ص ٢٢٨ •

فهذا السيد الحميري شاعر الكمانيه يقدم ليحيى
 ابا العباس السفاح ، بل ليحيى الهاشميين عامة بوصولهم
 الى مقادهم ، فألحظ في مدح العباسيين وخلفائهم
 وفي علي ذلك حتى وفاته . (١) ولقد اسرى السيد
 في محبة الخلافة العباسية حتى انه اخذ يشرح
 بأنها سبقت ما بنيت هذه الدنيا . قال (الاغاني
 ج ٥٧ ص ١٦) :

تد ما بها قبلكم ساسة لم يتركوا وطبا ولا يابسا
 ولست من ان تظكوها الى مهبط عيسى فيكم ابسا

وقال ايضا (الاغاني ج ٥٧ ص ١٤) :

ليس علينا ما بنوا غيرهم في هذه الامه من حاكم
 حتى يردوها الى مسايط عليه عيسى منهم ناجم

ولمنا هنا في معبر التفاضل الذي اوضح السيد نفسه
 فيه . فكلام هذا يتناقض صراحة مع آرائه الكمانيه
 التي ذكرناها اعلاه . ولكنه شاعر عريق ...

هذا ولم يحفل الخطيفه العباسي الثاني

لقب (المصور) - وهو اسم آخر للمهدي الثاني فيط
 بعد الى كلام كثير منه - ولم يحفل ابنه وخطيفه
 لقب (المهدي) عن حيث . بل انه لم يزل ذلك عن

(١) الايهاني ، كتاب الاغاني ج ٥٧ ص ١٤٠ ١٤١ - ١٧٠ .

فقد سياسي باع جدا ، لقد كانت الفكرة من المنصور انه مهدى ، ولكنه نوى جبار ، بينما المهدى الحنفى اتسب الى السهولة والرحمة . لذلك اتخذ من شخصيته مثالا حيا للمنصور ، وجعل من ابته مثالا حيا للمهدى . ولقد مثل المنصور في نفسه هو وابنه هاتين الشخصيتين زوابة جميلة جدا ، سار المنصور في ادارة الدولة على سياسة حازمة جدا ، فلأخذ من الناس الكثير من اموالهم فمسا وفست سجونهم بالمالهين وغيرهم . ثم اوصى ابنه ان يكون - بعد ان يلمه على الخلافة - مثالا للرحمة ، كما اوصاه ان يرد الاموال التي اصحابها - وكان الأب قد حفظها وكتب عليها اسماء اصحابها . كما اوصاه ان يرد الى المسجونين حرياتهم ، بعد ان يعطوهم شيئا من المال . وبان الواحد لولده لائحة هذا العمل ، الذي سيجبهه منه الى رعيته . ولما مات الاب ونفذ الابن وصيته ظهر له صدى قرامته . ان الناس احبوه ، حبا جما . (١) وهذا التوحيدى رد الفصل الذى سيجبه على المهدى بقوله : فانشر له الصبب وكثر الدعاء وحببت الاصوات ، وقال الناس : هذا هو المهدى الذى ورد في الاثر . (٢)

-
- (١) البهلولي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٤٧٥ - ٤٧٦ . ابن الطقطعي ، الفخرى ، ص ١٨٢ . المصمودى ، التتبيه والاشراف ، ص ٣٤٢ - ٣٤٣ .
- (٢) ابوحيان التوحيدى ، كتاب الاطاع والموافقة ، (لندراحمد امين واحد انزى القاهرة سنة ١٩٤٢) ، ص ٢ ، ص ٣٤ .

وما لا شك فيه ان اتقى سلاح استعطف العباسيون مع
اخصائهم هو سلاح الاحاديث المهدوية : تركت جانباً
تلك الاحاديث العامة الدائبة التي ورد النبي فيها
بالنصر لبني هاشم او لاهل البيت ، واستعاض العباسيون
فرداً بأحاديث عباسية صريحة . تنبأ بهذا النبي ان
دولة الحق المتوخاة هي الدولة العباسية ، يرووا عن
النبي هذه الحادثة : " كان رسول الله علم في
نفسه من المهاجرين والانصار وولي بن ابي طالب من
بنيهم والمجاهدين من بعده اذ تلاج العباس ويحل من
الانصار فغلظ الانصار للعباس فأخذ النبي صلعم يمد
المبار ويعد علي وقال سيخرج من صلب هذا حتى
يملأ الارض جوراً وظلماً وسيخرج من صلب هذا حتى
يملأ الارض قسطاً وعدلاً فاذا رأيتم ذلك فعليكم بالنبي
القمي فانه ينزل من قبل المشرق وهو صاحب راية لله
المهدي " (١) وصيغة هذا الحديث لا تبين لنا ان
نظمت بأن المهدي سيخرج من العباس ، او من علي ،
(او بمعنى آخر ، ان هذا الحديث عباسي ، او علوي) ،
غير ان المقابلة التي قيل فيها ، بعد ان اغلظ
الانصار للعباس ، تجعلنا نميل الى القول بأنه قيل
في حق العباس ، فالظاهر انه استحق ذلك الاكرام
تمويهاً عن الاهانة التي لدقته . واذا كان وضع هذا
الحديث لا يجعلنا نخلص في انه دعابة عباسية ، فهناك
احاديث صحيحة تماماً . يرووا ان النبي قال " يخرج

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٣٢٢ .

وجعل من وراء النهر يقال له العمارت على مقدمته جبل
يقال له نصور بوطى* او يمكن آل محمد كما مكنت
نور لرسول الله صلعم وجب على كل مؤمن نصيبه او
قال لبيابته* (١) ونضيف الى ذلك هذا الحديث
المبايعي المسيح الذي ذكر له ثلاثة خلفه عباسيين
* قال مجاهد قال لي ابن عباس لو لم اسمع انك مثل
اهل البيت لما حدثتك بهذا الحديث قال فقال فانه في
ستمر لا اذكره لمن يكره قال قال ابن عباس منا اهل
البيت اربعة منا السج ومنا المنذر (ومنا النضر)
ومنا الهدي قال فقال مجاهد بين لي هؤلاء
الاربعة فقال ابن عباس اما السج فليما نزل
انصاره ومنا من عدوه واما المنذر اراه قال فانه
يعطي المال الكثير ولا يتعاطى في نفسه ومنك القبل
من حنة واما النضر فانه يعطي النصر على عدوه
النضر ما كان يعطي رسول الله صلعم ويذهب منه
عدوه على مسيرة شهرين والنصور يذهب منه عدوه
على مسيرة شهر واما الهدي الذي يملأ الارض
عدلا كما ملئت جورا وتأمين البهائم السباع وطمسي
الاور انلاذ اكبادها قال قلت وما انلاذ اكبادها
قال امثال الاسطوانة من الذهب والفضة* (٢) لعل
وضح هذا الحديث بعد ان حكم هؤلاء الثلاثة واهم
نبل ذلك - في عهد السج مثلا - ثم تلبث اوجعوا

(١) ابن خلدون • المقدمة • ص ٣٢٢ •

(٢) = = = = ٣٢٠ •

بالنصوص ، ولتب ايمته بالهدى لكل مستطزمات هذا
الحديث ؟ واما لماذا بقي طيب (المظفر) شاعراً
فأمر لا نستطيع تفسيره .

ومما يمكن من امران هذه الاحاديث
استعطت - مع الكثير من امثالها - ثم تداولتها الناس
على انها احاديث صحيحة مرفوعة الى النبي . وعكذا
وجدت نصوصها اى كتب الاحاديث الصحيحة ، اما على
انها نبوءة للنبي حقيقها الله ، او انها سوف تتحقق
في آخر الزمان . فلي لذلك من اشراط الساعة !

سلاح الفتوة :-

وجئنا الى جنس سلاح الدعاية هذا ،
استعمل المباسيون ، ضد الملويسين ، سلاح اخذهم
بالشدة والفتوة البالدستين . فمما عهد مبكر بطش بهم
الخصور : حمل اثني عشر وجيها من وجهائهم - بينهم
اناس ينتمون الى سلسلة الائمة - من المدينة الى الكوفة
حيث يجتمع في مجن طفق غير صديقاته ليه عن بكرة
ابيدهم (١) وث جواسيمه " ينظرون الى من اتلفت شهية
جملهم عليه فيفسرون نطقه " (٢) . وهذا النصوص حكم
الهدى الذي اتبع مع الطالبين - كما ذكرنا املاء -

(١) ابن العبيد ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٢١٠ . ابن سعد ، كتاب
الطبقات الكبير ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ . ابن الاطفي ، القدي ، ص ١١١
(٢) الكلبني ، اصل الكافي ، ص ١٨٥ .

سياسة ود ورحمة . ولكن بعد وفاته عادت السياسة
التي اتجهت إليها الضمور . فخطبة المهدي ه ابنه موسى
الهادي ه اتبع مذهب سياسة كهذا النسخة والمساواة .
وذلك انه " الخ في طلب الطالبين واخافهم خوفا شديدا
وقام ما كان المهدي يجسوه لهم من الارزاق والاعطية
وكتب الى الآفاق في طلبهم وخطبهم ^(١) . وفي هذه
السياسة سار بنسبة خطباء بني العباس ، باستثناء
خطبة واحد هو الطامون الذي منعمود السب . وهذا
المستوكل (٨٤٧ - ٨٦١) الذي ذهب في اعطاده النسخة
الى حد ان هدم قبر الحسين ^(٢) لانه - كما ينقل
جولد تسيهر - " رأى ان النار يجب ان لا يذكرها انه
في هذه البقعة المقدسة يرقى ابن لملي كان قد اراد
دمه دفنا من حقوق آل البيت " ^(٣) . كما وكان يرمي
جواسيسه لخراب الامام العلي بن ابي طالب علي بن محمد
وكان بأمرهم احبانا بمداومة بيته بقصد مصادرة ما به
من مال وسلاح . ^(٤) وهذا الخطبة المهدي (٨٦١ -
٨٧٠) الذي عاصر الامام الحادي عشر (الحسن العسكري)
كان كثير الاذية والتهديد للشعبة وانهم ه وكان يهددهم
بهدهم بقوله ه " والله لاجلبنهم من حديد الاثر " ^(٥) .

-
- (١) المذهبي ه تاريخ ه ص ٢ ه ص ٤٨٨ .
(٢) ابن الطبري ه الفخر ه ص ٢٨٢ .
(٣) الحيدة والنسخة في الاسلام ه ص ١٧٧ .
(٤) الكشي ه اصل الكافي ه ص ٢٧٦ - ٢٧٧ .
(٥) = = = = ٢٨٤ =

وهي هذه الوثيقة من الخليفة العباسيين في عام ٨١٣ هـ في عهد المأمون بالله
 البيت وشيخهم . وقبل ان نستعرض رد الفصل الثاني كانت ابدا تحركه
 هذه المعاملة . علينا ان نخرج قليلا لنقدم تصورا عما اذا تصرفه الخليفة
 المأمون (٨١٣ - ٨٣٣) حبال اهل البيت عموما والامام المظفر النقي
 عامره خصوصا . ولما ندرى ما هو الدافع الذي جعل هذا الخليفة
 يعمل كثيرا نحو اهل البيت . والذي يظهر ان المأمون كان ميلا
 الى امادة النذر في مسائل كثيرة جرت عليها سابقه : نردّ مثلا الى
 ولد فاطمة ارض نذر^(١) ، التي كانت طالبت منها ابدا ابا بكر ، ثم استمر
 ولدها بالمطالبة بها . وما لا شك فيه ان اخضر تصرف تصرفه المأمون
 في اتباعه لسياسة " امادة النذر " هذه هي مسألة الخلاف . ذلك
 التصرف الذي كان ثوره لا تقل عن الثورة التي امتدت لها بغداد من
 جوار الحنفية . اما نصه ذلك فهي : اراد المأمون نقل الخلافة
 من العباسيين الى العلويين . وكان آنذاك (٢٠١ هـ) في مرو
 من اعمال خراسان . فاستدعى اليه الامام الشيعي ، علي بن موسى الرضي ،
 وعرض عليه ان يتخلى له عن الخلافة ، غير ان هذا رفض هذا العرض .
 ولكنه قبل ان يكون ولياً للعهد بعده . ثم امر المأمون الناس ان يغيروا
 اللباس الاسود (شعار العباسيين) ويستبدلوه بالأخضر . وما ان
 وصلت هذه الاخبار الى بغداد حتى احتج الناس عموما ، والعباسيين
 خصوصا ، فخطبوا المأمون وابعدهوا عنه ابراهيم بن المهدي (٢٠٢ هـ) .
 وارسلوا من ائمة وزير المأمون الفضل بن سهل طحا منهم ان له
 اليد الطولى في هذا التفسير . ولدها خلاف المأمون واخذ يجمع
 عن هذه الخطة والغنى ولاية العهد هذه . وفي سنة ٢٠٤ هـ قدم

(١) البجلي ، تاريخ ج ٥ ص ٥٢٢ .

الى بغداد حيث الغى اللون الاحمر وما الى السواد . بذلك هددت الثورة .^(١) اما السبب الذي دفع المأمون الى القيام بهذا العمل فلم لا نعرفه ، ولم يحط المؤرخون الاقدمون تفسيراً وجهاً لذلك ، بل قالوا انه أمر لي هذا الامام صلاحاً محاولاً قتل الخلافة له ، لا بد تحت رجملاً صالحاً . ونحس ان فتك في صفة هذا التمهيل ، ونقول ربما كان الدافع هو ان غلبة هذا الجيل الفلسفية توصلت الى وضع حل عملي لمشكلة الخلافة التي شطرت المجتمع الاسلامي الى شطرين كبيرين . كقولنا الكليني ان الرضا هذا قيل ولاية العهد من المأمون على نسيب كتب بدم السب : " على ان لا آمر ولا انهي ولا انتهي ولا ائسي ولا اولي ولا اعزل ولا اغير شيئاً مما هو قائم وتعديني من ذلك كسد . " ^(٢) فلماذا اشترط هذه الشروط يا ترى ، واداً لم يستقرها ، بل كانت من اختراع الشيعة الطائفة ، للمصادرة تخلصوا شروطاً كهذه ؟ عجباً ، لا بد من تفسير تعبير عن غلبة الطائفة .

نصلح محاولة المأمون هذه ، كما فتك الخلافة الثانية عندما توجه اصلاح ذات البس ، بين المباسجين والموسيين . من طسوق تزوج ابنته لابن الرضا ^(٣) . لقد استعصى الداء وانتقل التشيع - طبعاً من زمن اقدم - من الدور السياسي الى الدور الديني المصروف . ولم يحد هم معظم الشيعة الوصول الى كرمي الخلافة - مع ان حروبهم ضدها استمرت - وانما اصبح التشيع ديناً قائماً بذاته . وعندما تسلط على الخلافة المباسية البوهيون (١٤٥ - ٢٥٥) الذين كانوا منطريين في كتبهم وادعوا انهم يحدون

(١) ابن الطلق ، النسخ ، ٢٦٠ - ٢٦٣ . السمودي ، التقية والاشياء ، ص ٣٤١ -

(٢) ٣٥١ . الكليني ، اصول الثاني ، ص ٢٦٦ - ٢٧٠ . الهلوي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص

ص ٥٤٤ - ٥٥٣ . (٢) الكليني ، اصول الثاني ، ص ٢٧٠ .

(٣) الكليني ، اصول الثاني ، ص ٢٧٢ - ٢٧٤ .

من سلالة ملوك فارس ^(١) . لم يغيروا من الموقف شيئا ، رغما عن كون الشيعة تنفسوا مدة حكمهم الصعدا . وعندما أراد معز الدولة السبهي نقل الخلافة من العباسيين الى المعز لدين الله العلوي واستنصار خاصته في ذلك امتحن هذه الفكرة بعضهم ورفضها البعض الآخر قائلاً : " فانك اليوم مع خليفة تعتقد انت واصحابك انه ليس من اهل الخلافة ولو امرتهم فقله لقتلوا محتلين دمه ومتى اجلس بمصر العلويين خليفة كان معك من يعتقد انت واصحابك صحة خلافتهم فلو امرهم بقتلك لقتلوا " ^(٢) . فتدخل من هذه الفكرة ولم يعمل بها .

ونحن اذا استتبنا هذه الشواهد : حكم العدي والمأمون والسبهي ، نرى ان اهل التشيع بقوا في حالة حسرة دائمة مع الحاكم العباسي ، كما كانوا قبل مع الحاكم الاموي . اشهد العباسيون في ضغطهم على العلويين ، فكان رد الفعل يظهر على شكلين مختلفين ، ولكنهما متعاورين : مقاومة ايجابية تظهر على شكل مذبذبين يخرجون لكي يضعوا حدا لهذا الحكم القاسد . واخرى سلبية تظهر على شكل دعاية واسعة مرية بنوم بهذا الشبهة ضد الدولة العباسية .

التمهدون العلويون في العصر العباسي . -

كلنا نعلم ان فكرة المهدية وجدت في الاوساط الشعبية تربة خصبة جدا . ولما ان اجتمع الشيعة (وهم الذين تطوروا تطوراً سليماً - الشيعة الانبياء) اتخذوا في عداوتهم للخلافة موقفاً بعيداً عن الابهامية . ولكن عن هذا التيار السليبي ، كانت

(١) ابن الاثير . تاريخ الكامل ج ٨ ص ١١٧ .

(٢) = = = = = ٢٢١ - ٢٤٠ .

ابدا . وفي نترات متقطعة . تظهر احدى الحركات الاجبائية . ولم يرض
اجماع الشيعة من اى حركة من هذه الحركات . بل كان يسير يوما
في طهفة السلي . وكانت هذه الحركات تظهر ثم تفشل كحركات
سياسية ولكنها كانت تحتك آثارا بالغة . فسرقة شيعة جديدة . فكل
اسفرت مهدية ابن الحنفية من ظهور فرقة الكيسانية . التي بدورها
انقسمت الى عدة فروع . كذلك اسفرت مهدية زهد عن سرقة الزيدية
والتي بدورها انقسمت على فروع الى عدة فروع ايضا . وهكذا كان
الحال مع المتطهرون الذين منبرد قصتهم ليط يلى .

محمد بن عبد الله (النفس الزكية) : -

هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن
ابي طالب (١٠٠ - ١٤٥) . ومنذ وقت مبكر ، حين كان في التاسعة
عشرة من عمره ، اخذ محمد هذا ينسج بين الناس انه المهدي
الذي ينسب به ، ولقد ساهم ابو في هذه الدعاية لمهدية ابنته
مساهمة فعالة . وكان هذا الاب يحمي الخلفاء الامويين ثم العباسيين
كما كان يحمي ائمة الشيعة ، وكان دائما يتساءل عن ضرورة كون
الامامة في نسل الحسين دون اخيه الحسن ^(١) واستند هذا الاب في
الدعاية لمهدية ابنته على حديث - ربما كان من وضعه - يقول
" لو بقي من الدنيا يوم لطول الله ذلك السيم حتى يبعث له مهدينا
او قابضا اسمه كاسي واسم ابنته كاسم ابي . " غير ان هذا المهدي
لم يجيء على الخروج في العصر الاموي ولم ولعة اتيه سببا من
اشراف بني هاشم . ولكن لما انتقل الحكم الى بني العباس ازداد
حساس هذا المتطهري . بيد انه كان يادى الحذر والاعتزان ، كان يحاول
الظهور ، فلما لاحظ ان ذلك سيوقعه في مشكلة كان يحسد الى
المهدو والتزيين . فحاول مثلا ، الخروج في عهد ابي العباس المستطاح

(١) الكافي ، اصل الكافي ، ص ١١١ .

لكنه عاد فعزل عن ذلك . وفي عهد أبي جعفر المنصور نهت الدعاة لمهديته فزال أبو جعفر وتوجه إلى الحجاز بقصد الفهر عليه ، ولما لم يتمكن من ذلك قهر على أبيه وكثيرين من أتائه ومجتهدين وأهلهم بقسوة لا حد لها . فلما وجع إلى العراق خرج محمد هذا في المدينة وأدعى علنا أنه المهدي المنتظر (١٤٥ هـ) . وانتشرت دعوته في الحجاز والكوفة وخراسان . وأول فعل عمله هذا المهدي في المدينة أنه " عزل عنها أميرها من قبل المنصور ورتب عليها عاملاً وقاضياً وكبير أبواب السجن وأخرج من يدنا " . (الفهر ص ١١٦) . ومحمد محاولات كثيرة فأنه استطاع قائد المنصور وابن أخيه يحيى ابن موسى قتل هذا التمهدي والكثيرين من أتباعه . وبعد ذلك أصبح لزمام علي الخلافة الفضا على أخيه إبراهيم (الذي بعد قتل أخيه أخذ يدعو لنفسه) حيث نوى أمره في الكوفة وما جاورها وأخيراً تمكن قائد الخليفة يحيى بن موسى من قتل إبراهيم هذا ونشبت حركته في معركة (بأخرى) قرب الكوفة ومحمد هذا انتحلاً . انتصار تلقب أبو جعفر بلقب المنصور ^(١) . ومحمد مثل محمد لم تعترف أنوار بعونه بل قالت أنه حي في جبل (العلبة) كما قالت أنه لن يموت قبل أن يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً . وهكذا تكونت لروح الجارودية والمهدية والمغيبية ^(٢) . ويرجح برنارد لوس أنه كان للفرقة

-
- (١) المصمودي ، التنبيه وأخباره ص ٣٤١ . ابن الأثير ، الفهر ص ١١٥ - ١١٢ .
المقاسي ، أحسن التتبع ص ٢١٣ - ٢١٤ . البغدادي ، تاريخ ص ٢٢٢ .
٤٤٤ - ٤٤٥ - ٤٥٠ - ٤٥٦ .
- (٢) التوحيدي ، نرى البهجة ص ٥٢ - ٥٥ . ابن حزم ، كتاب الفصل ٤ ص ١٢٦ .
البغدادي ، الفخر بين الفخر ص ٢٥٣٨ - ٢٥٤٥ - ٢٢١٠ - ٢٢٣ .

الثالثة اثنا كبيرا لي تطور الافكار الباطنية ^(١) . وهكذا استمرت هدية هذا المهددي من اضافة نسق جديدة الى الفسق الاسلاميه . اما باني الاساسيه فانهم لم يمتثلوا بمهديته ولا بولا امامه بل جعلوا منه هدفا لتفككهم وسخوتهم ^(٢) .

موسى بن جعفر : -

هو موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي بن ابي طالب . حاول هذا الخروج فسلم بذلك هارون الرشيد الذي توجبه الى المدينه حالا فنج والقي عليه القبض واخذه معه الى بغداد حين سجنه الى ان مات (١٨٣) . ويقال ان الرشيد سبه في السجن ليتخلص منه ^(٣) . وبعد وفاته تشككت حول ذكراه فرفقه الواقفيه او المظفوره . وهي احدى نسق الاساسيه ففسالت انه حي لم يموت ولا يموت حتى يملأ الارض مدلا كما ملك جوا ^(٤) . والظاهر ان هذا الوجه لم يدمي المهديه فك انما البسيه لياها اتباعه . كما فعل بعضهم مع علي بن ابي طالب .

محمد بن القاسم : -

هو محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن عيسى بن الحسين بن علي بن ابي طالب . كان محمد هذا يظن الكوفة ومعه السمودي بأنه كان من الحسابه والزهد والورع فسي

-
- (١) اصل الاساطيليه ص ٩٣ - ١٤ .
 (٢) الكليني ، اصل الثاني ص ١٩٠ - ١٩٤ .
 (٣) البهوتي ، تاريخ ص ٢٠٩ ص ٤١١ . ابن الطاطلي ، الفخر ص ٢٣٣ - ٢٤٤ .
 (٤) ابن حزم ، كتاب الفصل ص ٤٠ ص ١٢٩ - ١٨٠ . السمودي ، مروج الذهب ص ٧ ص ١١٢ .

نهاية الوصف .^(١) ولما اراد ان يدعوا لنفسه توجه الى الشالندان
(من اعمال خراسان) وهناك " انفاد السبه والى امامته خلق
كثير من النار " .^(٢) عندها وجه المتصم السبه عبد الرحمن بن
طاهر فاعتقله ومجته في بغداد حيث مات مسموما . وتذهب رواية
ثانية الى انه هرب من السجن ليلة عبد الظاهر (٢١١) هـ فطلبوه
فلم يجسدوه .^(٣) ولما علي بنسين فيما اذا ادما هذا الرجل
الهددية امر لا ولكن بعد وفاته آمنت طائفة من النار بهدبته
وفالت " انه حي لم يمت ولا قتل ولا يموت حتى يملأ الاير مسدلا
كما ملئت جورا " .^(٤) ويذكر المسمودي ان فدا كبيرا من الزبدية
لا يزال يؤمن بهدبة محمد هذا هـ حتى الوقت الذي يكتب فيه
(٢٣٢ هـ) وكلهم ينتظر رجعتهم كهمدي هـ وان اكثر هؤلاء بناحية
الكوفة وجمال طبرستان والديلم وكثير من كور خراسان .^(٥)

بحس بن عمر

هبحس بن عمر بن بحس بن الحسين بن زيد بن
الحسين بن علي بن ابي طالب . قدم بحس هذا من خراسان
الى (سر من راي) وهو مقتل بالسديون . ولما لم يطلع في اثناء
بحر امراء الخليفة المتوكل في اعطائه مالا هـ غنص وتوجه الى الكوفة
حيث أعلن الثورة هـ وطرد حاكم المتوكل عليها هـ واخذ ما في بيت
المال فلقه على اصحابه واخرج من في السجن . وهكذا فوى

- (١) هـ (٢) مع الزهد هـ ج ٥٢ ص ١١٦ .
- (٣) البغوي هـ تاريخ هـ ج ٢ ص ٥٢٦ .
- (٤) ابن حزم هـ كتاب الفصل هـ ج ٤ ص ١٢٩ .
- (٥) مع الزهد هـ ج ٥٢ ص ١١٢ .

امره كسيراً فخافه الخليفة وارسل من قتله وقتل حركته لسي
معركة شامي - مكان بين الكوفة وسدداد - سنة ٢٤٩ او ٢٥٠ .
ولمنا نعلم ايها ما اذا ادعى يحيى هذا الهدية ام لا . ولكن
ابن حزم يخبرنا ان طائفة قالت بعهديته وقالت " انه حي لم
يقتل ولا مات ولا يموت حتى يملا" الامرعدلا كما ملكت جوراً " .^(١)

والآن نكتفي بهذا العدد من التهديدات .
لنن اراد الصريد فسيراجع : ابن حزم ، كتاب الفصل ، ج ٤ ،
ص ١٧٩ وما بعدها . المصدر المقدسي ، البدء والتايخ ، ج ٢ ،
ص ١٨٠ وما بعدها . التمهيدتي ، لى النسبة ، في اكنة متعددة .

(١) كتاب الفصل ، ج ٤ ، ص ١٧٩ .

الامامية (الانطليونية) :-

وعلى هذه القضية سار الشيعة في فعالهم ضد الخلافة العباسية ، ولم يتنفسوا الصعداء اللهم الا بعد ان فسدت الخلافة فتمها . فلقد كان قيام السامانيين الضامدين باكورة عهد جديد عند الشيعة ، خصوصا بعد فتح خراسان على يد اسطخيل (٢٩٠) . ثم استمر هذا العهد بقيام الحيدانين الشيعة في الوصل (٣١٢) وعندما دخل احمد معز الدولة البهي بغداد (٣٢٤) بلغت فترة الهدوء هذه اوجها . فاستراح الشيعة من ضغط الخطية راحة جلت عليهم الطمانينة والاستقرار . بيد ان هذا الهدوء الخارجي لم يغير قليلا او كثيرا من وضع الشيعة الداخلية ، فعند النصف الثاني للقرن الثالث تمت عملية تجميع الفرق الشيعية المختلفة - ما عدا الزيدية التي تجبرت قبل هذا التاريخ . لذلك لم تجد عصور الطمانينة هذه تقبلا في حرم الخلاف بين الشيعة والسنة . والتي الذي بدأ في هذه الفترة ان طغاهم وجدوا متسعا من الوقت لتدوين عقائدهم . وهكذا ظهرت مجاميع الحديث الشيعية المسماة " الكتب الاربعة " (١) . ومن بين هذه المجاميع كتاب اصول الكافي ، لمؤلفه ابي جعفر محمد بن محبوب الكشي (الغولي سنة ٣٢٨ و ٣٢٩) . والذي ساعد عليه بالدرجة الاولى في مسرد تطوّر فكرة المهدي عند الشيعة الامامية ، لاندوميته ولمنزلة الكبير عند الشيعة وفيهم .

ولسهولة البحث قسم تطوّر هذه الفكرة عند الامامية الى طورتين رئيسيتين : (١) الطور الاوّل . منذ منأ الفكرة

حتى وفاة الامام الحادي عشر . (٢) الطور الثاني ، بعد وفاة الامام
الحادي عشر .

الطور الاول :-

نرجسنا فيما مضى دخول هذه الفكرة الفكر
الشيعي ؛ وفي السجدة ، الذين تدرّ لهم ان يصحوا فيما بعد الامامة ،
دون ان يكسروا فكرة عن شخص معين انه هو المهدى . فكان بين الفينة
والاخرى يظهر هذا التعهدى او ذاك ، يقال النليل او الكثير من الاتباع
دون ان يقال اجتمع الشيعة لدى ماز في طهرته التي انتهجها في
تقدير الائمة من لدن علي .

وطالما بقي بين ظهراني الشيعة ائمة يرتاحون اليهم ،
بنيت فكرة المهدى معند رجالهم لا اكثر ولا اقل دون ان يحسبوا
كبير اهتمام بجانب اهتمام الكلي بالائمة ، ولما كانت الامامة هي مفتاح
المهدية وجب علينا ان ندرس بالتفصيل بأى النسبة فيها :

لم تعرف الشيعة مطلقا بالخلافة كما فهمها
عامة المسلمين من انما منصب يصار اليه بالانتخاب . بل فهم يخشون
من هذا الانتخاب عند الشخصية . من الامام الرضى قال : " جعل
القوم وخدعوا عن آرائهم ان الله عز وجل لم يقبل نبيه حتى اكمل
له السدين وانزل عليه القرآن فيه نبيان كل نبي " ... وانزل نبي
حجة الوداع ... اليوم اكملت لكم دينكم واتممت تكملي ورضيت
لكم الاسلام دينا (العائدة هـ) ولم يرض صلى الله عليه وآله
حتى بين لامته معالم دينهم ووضح لهم مسيلهم ... واقام لهم
علما هم علما واماما ... هل تعرفون ندر الامامة ومحلها من الائمة
نجدد فيها اختيارهم ان الامامة اجل ندرا واعظم نانا واعلى مكانا

واضع جانباً وأبعد غوراً من (ان) يبلغها النار بعقول لهم او ينالوها
بآرائهم او ينصروا اماماً باختيارهم . ان الامامة غير اللعن عز وجل بها
ابراهيم الخليل ... نعم اكرمه الله تعالى بأن جعلها في ذريته
فلم تزل في ذريته يومئذ بعد . عن بعض قدينا قدينا حتى ورثها الله
عز وجل النبي ... فقلها على الله عليه وآله علياً عم بأمر
الله عز وجل على رسم ما رسم الله فقسات في ذريته ... فهي
في ولد علي عم خاصة الى يوم القيامة ان لا نبي بعد محمد فمن
ابن يختار هؤلاء الجهال ان الامامة هي منزلة الانبياء وارث
الانبياء ان الامامة خلافة الله وخلافة الرسول مقام امير
المؤمنين وميراث الحسن والحسين .^(١) وهكذا اعطى الشيعة
على تسجيحه صاحب هذا العصب بالامام بدلاً عن اسم الخليفة .
* لان هذا اللقب يدل في معناه على مقام ديني ومكانة دينية ملحوظة
لا توجد في غيره من الالقب .^(٢) . وعلى بن ابي طالب ، الامام
الاول ، لم يتزوج فاطمة الزهراء عفا ، بل امر الله النبي بذلك
عن طريق ملك قال له " بعثني الله عز وجل ان ازوج النور من
النور " .^(٣) . ووالد علي لم يموت كافراً ، كما هو معروف ، بل انه
" مثل احباب الكوفة اميروا الايمان واطهروا الشريعة فآتاهم الله اجرهم
مبشرين " .^(٤) . وهذا يفسر انشغال النور الالهي الى سميتين
احدهما وصلت علي من ابيه عن جده ، والاخرى وصلت النبي عن
ابيه عن جده ، فكان زواج علي من فاطمة زواج النور من النور .

(١) الكليني ، اصول الكافي ، ص ١٢ - ١٣ .

(٢) جولد تيمر ، العريضة والشيعة في الاسلام ، ص ١٢٥ .

(٣) الكليني ، اصول الكافي ، ص ٢٥١ .

(٤) " = = = = ٢٤٤ .

ولقد اسار القرآن مزارا الى ولاية علي . وقد عليها النبي ^(١) . ولكن
النبي بادي الامر لم يبلغ الشام ذلك . فانه ان يوتروا عن دينهم .
غير ان الله عنفه قائلة " يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك
وان لم تفعل فلما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس " (المائدة ٥
٧١) عندها صدع النبي وبلغ الشام ولاية علي لاول مرة يوم غدبر خم
وكانت الولاية آخر الغزاة . اد بعد هذا التبليغ نزلت آية الختام " اليوم
اكملت لكم دينكم ... " ^(٢) . وهكذا اوصى النبي بولاية علي بأن قال
نزلت مبرات " من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من واه وباد
من عاداه " ^(٣) . وقال النبي " علي سيد المؤمنين " وقال علي بن
الدين " قال هذا هو الذي يضرب الشام بالسيف علي الحق بعدى
وال الحق مع علي ابنما مال " وقال اني تارك فيكم امرين ان اخذتم
بهما لن تسفلوا كتاب الله عز وجل واهل بيتي متبني " ^(٤)
ولما نزلنا ائمة النصبة القرآن حسب التفسير الذي فيه محمد
لعلي اذا بجميع آيات المصح فيه تخرج عليا وائمة من بعده . وما
علينا الا ان نضيف الى الآية كلمة (علي) او (ولاية علي) او (آل
محمد) حتى يستقيم المعنى حسبما اراده الله . " عن ابي جعفر ...
قال ونزل جبرئيل بهذه الآية هكذا " وفي الحق من يكتم لي ولاية علي
فمن شاء فليؤم ومن شاء فليكفر فاما اعتدنا للطالمين آل محمد نارا " ^(٥)
(الكهف ٢٨٥) " ... من ابي جعفر قال افكلم جاهكم محمد
بلا تدهو انفسكم بمولاة علي فاستكبرتم فسيقا من آل محمد تدبتم وسيقا

(١) الكليني . اصل النافي ١٤٧ - ١٥١ .

(٢) = = = = ١٤٦ .

(٣) * (٤) = = = ١٤١ .

(٥) = = = ١٢٨ .

تفتنون . (البقرة ٨١) . (١) عن ابي جعفر في قول الله
 عز وجل بلي من كتب سيرة واحاطت به خطيبته قال اذا جحد
 امامة امير المؤمنين فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون (البقرة
 ٧٥) . علي هو السباط المستقيم الذي ينجو به المؤمنين (٢)
 ولايته لم تأت من الارض انما جاءت من اسماء منافقة (٣)
 ولما اظهر هذا التفسير للناس انه تكليم عن علي وحده ، كذلك
 اظهر انه تكليم عن مذهب علي حقه الثلاثة : ابو بكر وعمر وعثمان ، او كما
 يسمونهم ، فلان وفلان وفلان . (٤) او الاولي والثاني والثالث : " عن ابي
 جعفر في قول الله لتزكبن سبحا عن طهق (الانشقاق ١١) قال
 يا ذرية اولم تزكبن هذه امة بعد نبينا طهقا عن طهق في امر
 فلان وفلان وفلان . (٥) وفي تفسير الآية وكفى اليكم الكفر والفوق
 والعصيان (الحجرات ٢) يقول ابو عبد الله " يعني الاولي والثاني
 والثالث " (٦) وهم يتفخرون الى الله بلعن هؤلاء الثلاثة (٧)
 . (٨)

خلق علي علي منصب الامامة الاثني العشر لاهي

الله ونسبه عليهم . وكل منهم كان يدعي خليفته حسب هذا
 التعيين السطوي . ولم يقل هؤلاء الاثني في المنزلة عن علي نفسه .
 فزلتهم عالية مقدمه ، كتب احدهم الى اليربي يسأله عن الفرق بين

(١) الكافي ، اصل الكافي ، ص ٢٢٥ .

(٢) = = = ٢٣١ .

(٣) = = = ٢٢٥ .

(٤) = = = ٢٤٠ .

(٥) = = = ٢٢٦ ، ٢١٧ ، ٢٣٢ ، ٥٤٧ .

(٦) = = = ٢٢٤ .

(٧) = = = ٢٣٠ .

(٨) = = = ٥٤٧ .

الرسول والنبي والامام فكذب له " الفرق بين الرسل والنبي وادامام
ان الرسل الذي ينزل عليه جبرئيل من فريده وسمع كلامه ^{وينزل}
عليه الوحي وبما رأى في منامه نحو رؤيا ابراهيم عليه السلام ^{والنبي وما}
سمع الكلام وبما رأى ^{أو} انخس ^و لم يسمع ^{ادامام} هو الذي يسمع الكلام
ولا يرى ^{الغرض} . ^(١) وأوصى الله عليهم وأمرهم ^{باعتدالهم} في الدين . ^(٢)
وأما جبرئيل النبي ^{باسمائهم} واسطة آياتهم ^(٣) . وادامام هو حجة الله
على خلقه ^(٤) . والأمر لا تغلظ من حجة ^(٥) . ولولم يكن في الأمر إلا
يجد ن لكان احدهما ^{الحجة} ^(٦) . وآخر من يموت هو الامام لثلا يحتج
احد على الله انه تركه بخير حجة ^(٧) . وقال ابو جعفر " انما يعرف
الله عز وجل ولا يعرف الامام منا اهل البيت فانما يعرف ويعبد
غير الله هكذا والله سلالا ^(٨) . وقال ايضا " كل من دان الله
عز وجل بعباده بجهنم بها نفسه ولا امام له من الله نسميه غير
مقبول وهو ذمال متخير والله تعالى لا يعاله ... من اصبح من هذه
الامة لا امام له من الله عز وجل طاهر مادل اصبح غالا تاهدا
وان مات على هذه الحالة مات ميتة كفر ونفاق ^(٩) . وقال " حبنا ايمان
ونحننا كفر " ^(١٠) . وقال الرضا " الناس يسيرون لنا في الطاعة

- (١) المصدر نفسه ص ٨٥
(٢) = = ١٤٠٢٢
(٣) = = ٤
(٤) = = ٨٠
(٥) = = ٨٦-٨٥
(٦) = = ٨٢-٨٦
(٧) = = ٨٢
(٨) = = ٨٢
(٩) = = ٨٨
(١٠) = = ٩١

مؤالي لنا في الدين قليطخ الشاهيد الغائب (١) . ولأئمة هم
 نهداه الله على خلفه (٢) وهم الهداة (٣) . وهم ولاية أمير الله
 وخزينة علمه (٤) . وظلوا الله في الأرض وأبوابه التي يؤتى منها (٥)
 وهم نور الله (٦) . وأركان الأرض (٧) . والعلامات والآيات التي ذكرها
 الله في كتابه (٨) . وهم أهل الذكر الذين ينسب إليهم القرآن
 مبرا (٩) . وهم الذين وعدهم الله في كتابه بالعمل (١٠) . والنعيم
 التي ذكرها الله في القرآن (١١) . وهم ورثة العلم يرثه بعضهم
 بعضا (١٢) . وعندهم سبب الكتب التي نزلت من عند الله . وهم
 بحر فونها على اختلاف استقامتها (١٣) . ولم يجمع القرآن كله الا هم (١٤)
 وعندهم اسم الله الأعظم (١٥) . وعندهم صحبة والجفر والجامعة ومصحف
 فاعية (١٦) . وهم اذا شاءوا ان يحطوا علموا (١٧) . ومعلمون متى يموتون
 ولا يموتون الا باخبارهم (١٨) . ومعلمون ما كان وما سيكون ولا يذوق
 عليهم شيء (١٩) . ولا سام يور من خلقه كطائر من امامه (٢٠) . والارض
 كلها ملك لهم (٢١) . ويخفون الى اركان الاسلام الخمسة يكتا
 سادسا وهو ولاية الامام (٢٢) . والتعدي من طريق التزوير على منصب
 الامامة ذنب لا يعمله ذنب . قال ابو عبد الله : ثلاثة لا يكلمهم
 الله يوم القيامة ولا يزكهم ولا يبرئهم من ذنوبهم : من ادعى امامة من

(١)	المصدر نفسه ص ١١	(١١)	المصدر نفسه ص ١٠٧
(٢)	= = = ١٢ - ١٣	(١٢)	= = = ١٠٦
(٣)	= = = ١٣ - ١٤	(١٣)	= = = ١١٢
(٤)	= = = ١٤	(١٤)	= = = ١١٣
(٥)	= = = ١٤	(١٥)	= = = ١١٣
(٦)	= = = ١٤ - ١٦	(١٦)	= = = ١١٨
(٧)	= = = ١٦ - ١٧	(١٧)	= = = ١٢٩
(٨)	= = = ١٠٣ - ١٠٢	(١٨)	= = = ١٢٨ - ١٢٩
(٩)	= = = ١٠٥ - ١٠٤	(١٩)	= = = ١٣٠
(١٠)	= = = ١٠٥	(٢٠)	= = = ٢٠٦
		(٢١)	= = = ٢٢٠
		(٢٢)	= = = ٣١٧ - ٣١٤

الله ليست له ومن جحد اماما من الله ومن رجم ان لهما نسي
الاسلام نصيب . " (١) وقال ايضا " مَنْ اشرك مع امام امامته من
عند الله مَنْ ليست امامته من الله كان مشركا بالله . " (٢)
وخطا نورد هذا الحديث : " ان الاير لا تخطو من حجة الا اذا كان
قبل القيامة بأربعين يوما . فاذا كان ذلك رُفِعَت الحجة وخلق باب
التوبة فلم يكس بفتح نفسه اباندا لم تكن آمنت من قبل او كسبت نبي
اباندا خيرا . فاولئك انصار من خلق الله عز وجل وهم السذ بن تقوم
عليهم القيامة . " (٣)

وعلى هذا السؤال اخذ الشهادة بهيولون الى ائمتهم
الوان القداسة السدينية . وهذه نقيضة صحيحة لفتلهم وفنيل مرشحيهم لي
الوصول الى كرسى الحكم الديني .

لم يعمل المؤمنون حسيبا امهم ودم . السم
بومهم بالاستقامة على ولاية علي والاوصياء من ولده بقوله : " وان لو
استقاموا على الطهيفة لاستفناهم ما عندنا (الجس ١٦٠) . " (٤)
ومذلت انتقل الامر الى غيرهم . وخسر نور الحق حقهم . بيد ان الله
وهد لجمال البسيت بوجع الامر فيهم . فان لهم دولة اذا ناله الله
جملة هم بهما . (٥) والائمة اذا طردوا امرهم حكما بحكم داود . واذا
لم يكفي هذا نزل عليهم بما ينقسم روح القدس . وما لا شك فيه ان
الامر لن يمدد الى ابي بكر وعمر ولا الى بني امية . ولا الى وليد
طلحة والريسير وذلك لانهم " نبذوا القرآن وابطلوا السنن وعطلوا الاحكام " (٦)
هذا وسيروبع الشاهد الحسين بن علي وسيد المرادفة المنتصين لي عيب

- | | |
|---------------------------|---------------------------|
| (١) المصدر نفسه . ص ١١١ . | (٤) المصدر نفسه . ص ١٠١ . |
| (٢) = = = ١١١ . | (٥) = = = ٢١٧ . |
| (٣) = = = ١٢١ . | (٦) = = = ٥١١ . |
| | (٦) = = = ٢١٤ . |

تناصره فيها الملائكة ^(١) ، بيد ان هذه الاماني كلها ، التي ترجع الى
محدود مكره تلاشت وحل محلها الامل بظهور المهدي فمسألة الامل
ببرجعة الحسين وانتصار دولة اهل البيت ، تلك الاماني السياسية التي
لعبت دورا مهما في اوقاتنا ، اعتبرها النسيان وحلت محلها الاماني
المهدوية التي اخذت تحمل عليها في صمت وحدوة .

اطلق النسخة على هذا المهدي اسما كثيرة
هي ركام تسميات عديدة تاريخية تدور حول شخص هذا المعتقد . فالي
جانب تسميته باسمه العام ، المهدي ، سَمَّوه (صاحب هذا الامر) ،
او (الساحب) ، و (صاحب الميز) و (القائم) او (قائما) و (بقية
الله) ... هذا وتخللت تسميته باسم القائم على غيرة ما فاعسجت
حبي السائفة . والشاعر انه كان لهذه النسخة اسلا عمليا سياسيا ،
فاسلفت اولاً على الائمة ثم انفرد بها المهدي . ومن المدهش جدا
انها اخذت في الامل من القرآن (آل عمران ١٦٥ . البقرة ٢٢٥) ^(٢) .

تملك النسخة بالاعتقاد تطلبا شديدا فلا من شأن
هذا المهدي وانتظاره ، وضا من ذلك بغيت هذه الاماني المهدوية امورا
اماسية عند . بل ان الشيعي الحنفي كان يتقرب الى الله ~~بمعه~~
بأن يدعو لامامه قائلا " ونجعل القائم بأمرنا والمفتقر لسديت واوه ما يحب
وما تقر به عينه في نفسه وذريته ونبي اهلك وماله وفي نعيمه وفي
عدوه واوههم منه ما يحضرون واوه يتم ما يحب وتقر به عينه واشد
عدوه نوم مؤمنين " ^(٣)

(١) المصدر نفسه . ١٤٢ - ١٤٣ .

(٢) راجع : R. Strothmann, Encyc. of Islam vol.II, art. KA'IL, p. 642.

(٣) الكليني ، اصول الكافي ، ص ٨٠٠ .

ولسنا في وضع بمسند على التعميم بال ضبط متى وضع
هذا الحديث المهدوي او ذاه . ولكننا نورد هذه الامداد بدون تعليق:
قال ابو عبد الله * لا تذهب الدنيا حتى يخي رجل مني بحكم
بحكومة آل داود * (١) . وسبق لله عند بدء الخليقة ان اخذ من اولى
المسلمين ميثاقا بالافراز بالمهدوي قائدا * والمهدوي انتشر به لديني والى
به دولتي وانقسم به من اعدائي واعبد به اعدائي وكبرها * فاعتزوا به
جميعا الا آدم فانه لم يجهده ولم يهتف به . ونزل في آدم لذلك
قوله تعالى * ولقد عهدنا الى آدم من قبل نفسي ولم نجد له عزما
(طه ١٤٥) * (٢) . والمهدي هو الذي سيلم وصية الله الى النجبة
من اهل النبي * تلك الوصية التي انزلت على النبي قبل وفاته وسلمها
بذروه الى علي الذي سلمها الى الحسن وسبق متداولة بين الانبياء
حتى جعلها الامام الاخير الى المهدي * (٣) وسبق النبي انباء بني
الفرآن حسب قوائم النافسة * فاذا فام القائم قرا كتاب الله عز وجل
على عده واخرج المصحف الذي كتبه علي * وهذه الفتاة * سجد
تحت من تلك التي يعرفها الناس . (٤) وادراك انما منوبة بكتاب عليها
كل من يقوم ببحر الامور الدينية ككتابات المصنفات كلها قبل النوم
وكمعرفة الامام * من عرف امامه ثم مات قبل ان يقوم صاحب هذا
الامر كان بمنزلة من كان قائدا في معركة لا بل بمنزلة من قد تحدث
لوائه * (٥) . او كن هو مع القائم في قضاة (٦) او كن كان في قضاة
المنظر (٧) . ومن مات منتظرا لامر آل البيت كمن مات في * وسط

- | | | | | | |
|-----|-------------|-----------|-----|-------------|-----|
| (١) | المصدر نفسه | ٢١٤ | (٥) | المصدر نفسه | ٦٠١ |
| (٢) | = | ٣١ | (٦) | = | ١٩٨ |
| (٣) | = | ١٤٠ - ١٤١ | (٨) | = | ١٩٩ |
| (٤) | = | ٦٠٢ | | | |

فسيان المهدى ومكره ^(١) . وهو الذي سيظهر ويحوى الارض كلها بالسيّد
كما حواه رسول الله ^(٢) . ومن هذه الاحاديث الاخيرة نلاحظ ما
للمهدى من صفة مكره متصفة . وهذا كما ننتجته طبيعته لما كان
يتأمله اولئك الذين يحلفون آمالهم على ظهوره . ألم يهزموا في معارك
متعددة امام قوات الخلافة ؟ ألم يقتل ابن علي (الحسين) في إحدى
هذه المعارك ؟ ولعل كانت هذه الاحاديث استجابة لروح الانتقام من الذين
تخللوا على آل البيت وخالفهم . لذلك صوّرت هذه الاحاديث هذا المهدى
بصورة قائم عسكري يهزم خرم عمل البيت . عن ابي عبد الله قال " لما
كان من امر الحسين فيما كان ضيقت الملائكة الى الله بالهكس وقالت
يفعل هذا بالحسين عبيد وابن بنتك (١) قال فانام الله لهم ظل القائم
وقال فينشا انتقم لهذا " ^(٣) . والشاهد ان الكوفي لم يلاحظ ان هذا
الحديث يتعارض صراحة مع حديث آخر ذكرناه املاه (م ١١١) ذكر فيه
ان الحسين نفسه هو الذي سيقوم لفتته . فهل هما نفس الشخصية بآثار ؟

هذا ومنه الفرآل بهذا المهدى وظهوره في آيات

كبيرة ^(٤) : " سأل احدهم ابا عبد الله عن تفسير بعض آي القرآن فاجابه :
- اما قوله " حتى اذا رآوا ما يوعدون " فهو خروج القائم وهو
المسماة فسيملكون ذلك اليوم وما نزل بهم من الله على بدي قائمه
فذلك قوله " ^{هو} ثم مكانا " يعني عند القائم واضعفة جندا فملك
وزيد الله الذين احبوا هدى قال يزيدهم ذلك اليوم هدى على
هدى باتباعهم القائم حيث لا يحسدونه ولا ينكرونها (مريم ٢٧٥ - ٢٨) ^(٥) .

(١) المصدر نفسه م ١١٨ . (٤) المصدر نفسه م ٢٢٤ ٢٢١ ٢٢٣ .

(٢) = = = ٢٢٠ .

(٣) = = = ٢٥٤ . (٤) = = = ٢٢٣ .

ما تقدم نرى بوضوح ان هذا المدعى من اجل البيت . ولانسته معهم
 قوة جدا . ولا غرابة في ذلك ففكرة المهدى . كما فهمنا هؤلاء .
 ما هي الا انعكاس لما كان يعيش في نفوسهم من الآم الهزيمة
 والفشل في كلا الصبغتين العركي والسياسي . ولقد شعر الشيعة
 بالثقة لا حد لها نحو هذا المهدى . اذ انه سيخلص لابسا ثياب علي^(١)
 وحاملا معه صخرة تريد لقلعة^(٢) . . .

وهكذا بقيت جبهة الشيعة تنتظر هذا الحاكم الالهي
 الذي مسجيد اليهم دولتهم المملوكة وهدم العرش . ذلك الحاكم الذي
 عرفه قبله حتى رهبان نجاوي نجيران . وعرفوا ان اخرى الاربعة العشرة المعلقة في
 الدوا^(٣) ستزل عليهم ويغمرها الفاس . وانه سيقول عليه حتى ما لم يقبل على
 الصديقيين واليهميل والمستدين^(٤) . ذلك الحاكم ذي الباع الطويل في
 القداصة والصفات القلبية . والذي سيعلم عليه الناس بقوله " يا بقية
 الله " . وكان الشيعة على استعداد لان يقولوا مصطفين التي وجد
 انهم يضيفون اليهم القداصة ولو الاخي . والقامة بعد الاخي . ولان
 بدلوها بان يصبح يوما احمد انهم الفاتح او المهدى . غير ان حدث
 هاما حدث لهم ووسع هذا لهذه الحالة والحمد لجبهة الشيعة من
 سيقوم . وذلك بجعله لهم موطئا مريئا ينتصرون مودته .

(١) المصدر نفسه ص ٢٣٢ .

(٢) = = = ٢٥١ .

(٣) = = = ٢٦٤ - ٢٦٦ .

(٤) = = = ٢٣٢ .

الطهور الثاني : -

في سنة (٢٦٠) توفي الامام الشيعي الحادي عشر الحسن العسكري هـ في طبرستان غاضة جدا هـ وفي وقت كان فيه الشيعة يفتنون تحت ضائقة شديدة لسطوة الحكام عليهم ولاختلافات عنيفة داخلية .^(١) وما زاد موقفهم ائنياسا اختلافهم عقب وفاة الحسن هذا على امر هام جدا بالنسبة اليهم هـ اذ ان البعض ذهب الى انه مات دون ان يترك عقباً .^(٢) بينما ذهب البعض الاخر الى انه خلف ولدا . فكانت النتيجة لذلك - كما يذكر التوحيدي^(٣) - انقسام اتباع الحسن العسكري الى اربعة عشر فرقة^(٤) . قالت بعضها انه المهدي المنتظر ولتفتدت بجمعة^(٥) ومعظمها لم يؤمن انه تارك عقباً ومن هذه ذهب حتى الى رفع امامته هـ وذلك لانه لم يعقب .^(٦) وقال البعض - ومن بينهم الشيعة الامامية - انه مات وتوكل ولدا اسمه محمد هـ الذي اختفى وهو المهدي المنتظر هـ وعلى مر الالام تخلبت هذه الفطرية الاخيرة على سواها هـ فكانت النتيجة فريقة الانسا عندية . والآن لتتابع قصة هذا المهدي المنتظر حسبما يروها لنا الكليني هـ ولد للحسن في سامرا ولد (٢٥٥ او ٢٥٦) هـ اما اسم هذا الولد فهو (محمد) ولقبه (صاحب) . ولما كان الناس يتكلمون في ذلك كان ابو يريم لهم بين الفينة والاخرى . ثم اختفى هذا الغلام عن انظار . والرواة يخبرون في ذكره عنه منذ هذه الفينة هـ فمن قائل ان عمره كان اذ ذاك سنتين وقائل اربعة عشر وقائل احدى وعشرين .^(٧)

حتى ان اسم هذا الامام يجب ان يحاط بالكتان

الشديد والحكمة هـ ويجب ان لا يلفظ بل يرمز له بالاحرف (ح م د) .

(١) المصدر نفسه ص ٢٨٠ - ٢٨١ . (٢) ليق اشبهه ص ٢٩ - ٨٤ .

(٣) = = = ١٧١ - ١٧٢ ٢٨٦٥ . (٤) الكليني هـ ص ٢٨٦ - ٢٨٧ .

بـ طلب شيعي من آخر رأى الامام الثاني عشر ان يخبره عن اسمه فجيده
 " محرم عليكم ان تسألوا عن ذلك " ^(١) وعقد الكليني بابا كاملا في النبي
 عن الاسم ^(٢) . يورد فيه عن ابي عبد الله حديثا يقول فيه " صاحب
 هذا الامر لا يسميه باسمه الا كافر " ^(٣) .

ولقد خبير جد هذا الامام من قبل متنبأ بما سيحدث
 له " انكم لا ترون شخصه ولا يحمل لكم ذكره باسمه " فقلت فكمذا نذكره
 فقال قولوا الحجة من آل محمد " ^(٤) .

وكما ندرس في شئ من امر السن التي اختفى بها هـ فكذلك لا نعرف
 عن حياته الا مسائل قليلة : يآه احدهم عند الحجر اسود ^(٥) ولا يآه
 آخر " حين ابغ " . ونذهب الكليني الى انه كان يسيّر بين الناس
 دون ان يعرفوه كما لم يعرف اخوة يوسف اباهم حتى قال لهم انا يوسف ^(٦)
 وهناك من " يآه خي من اليد قبل الحوادث " مشية ايام وهو بفصول
 اللطم انه تعلم انما من احب البقاع لولا ال حرد " فما هو هذا الحادث
 يا نير ومن اسى صرده والى ابن؟ الكليني لا يخبرنا شيئا . وهـ

ونحن نستطيع ان نستخلص ما تقدم ان والد هذا
 الامام اما ان يكون قد مات بلا عقب هـ او ان يكون عقب هذا الغلام
 فحدثت له حمادة اودت بحياته . وكلا هذين الاحتمالين كارة على الشيعة
 الذين يعتقدون ان الـ لا تغفلوا من حجة او امام . لذا هي خلت !
 فأوفت هذه الحالة الشيعة في مأزق حرج . واورد لنا الكليني حديثا
 ومع على لسان ابي عبد الله يفسر هذه الحالة . عن احدهم
 " قال لي ابو عبد الله كبر انت اذا وقعت البطشة بين المتحدين فبارز

(٤) الصد زلفه هـ ص ١٧٢ .

(١) المدر زلفه هـ ص ١٧١ .

(٢) = = = ص ١٧٣ .

(٣) = = = ص ١٧٣ .

العلم كما يأن الحجة في حججها واختلفت النسبة وسمى بعضهم بعضا كـ
 كذابين وتلق بعضهم في وجهه بعض قلت جعلت فداك ما عند ذلك
 من خير قال لي الخير كله عند ذلك ثلاثا ^(١) . والخير الذي يشير
 اليه هذا الحديث هو ان الشيعة قد عرفوا فضائلهم الفخسودة . لقد
 تعرفوا على شخصية المهدي . والواقع ان الشيعة تخلصوا من هذه
 الازمة السديدة الداخلة التي عانوها . ما بان امام دين ان يدعيه نافذت
 بذلك الحجة . وهذا بخلاف تعاليمهم اشد المخالفة . فما الخير ؟
 المهدي ! فاعلموا ان الحسن ترك ولدا ولكنه ذهب في الغيبة على
 ان يعود . وهو المهدي المنتظر . ثم استجاب القرآن . كعادته . لتفسير
 هذا اللغز . واذا الآيات " قل ارايتم ان اصبح ماء وكم غورا فمن يأتيكم بما معين
 (المائدة ٣٠) " و " فلا اقسم بالخنس الجوار الكنز (التوبة ١٥-١٦) "
 و " فاذا نفخ في النافور (العنكب ٨) " وغيرها ، فبكت في حق هذا الامام
 المعصني او (الخائب) كما يسمونه ^(٢) .

وكما اتبى القرآن لتفسير هذا اللغز . كذلك لم يتخلف الحديث عن
 خوم هذه المعركة : قال ابو عبد الله " اقرب ما يكون العباد من الله جل
 ذكره وايضا ما يكون عليهم اذا اقتعدوا حجة الله جل وعز ولم يظهر
 لهم ولم يعلموا مكانه وهم في ذلك يعلمون انه تدل حجة الله جل
 ذكره ولا مبناه . فعندها فتروا الفرج عياذا ومساء ^(٣) . و " قال
 موسى بن جعفر اذا فقد الخامن من ولد الساج فالله الله في ادبائكم
 لا يزيلكم عنها احد . ياتي انه لا بد لصاحب هذا الامر من غيبة
 حتى يرجع عن هذا الامر من كان ينزل به . انما هي مدة من الله
 عز وجل امتحن بها خلفه ولو علم آباءكم واجسادكم دينا اصح من

(٣) المصدر نفسه ص ١٧٣ .

(١) المصدر نفسه ص ١٧٨ .

(٢) = = = ١٧٢ - ١٧٩ .

هذا لا يعمو . فقلت يا سبيدي من الخامس من ولد السابع . فقال
يا بني فقولكم تصغر من هذا واحداً لكم تضيق من حطه ولكن ان تميشوا
سود تدركونه .^(١) وقال ابو عبد الله " يفقد الناس امامهم بنود
الموسم فيراهم ولا يرونه " .^(٢) حتى ان علياً تنبأ بهذا الحادث : من
الاصبح قال " اتيت امير المؤمنين فوجدته متفكراً بنكت في الار . فقلت يا امير
المؤمنين مالي ارات متفكراً تنكت في الارض الرغبة منك فيها . فقال لا
والله ما رغبت بردي ولا في الدنيا يوماً قط . ولكني فكيت في مولود
يكون من ظهر الحادي عشر من ولدي هو المهدي النور بمصا .
الار مدداً ونسباً كما ملئت شللاً وجيوا . يكون له غيبة وحيرة يخل
فيها اقوام ويهتدي فيها آخرون . فقلت يا امير المؤمنين وكم تكون
الحيوة والغيبة . قال ستة ايام او ستة اشهر او ست سنين . فقلت
وان هذا لكائن . فقال نعم كما انه مخلوق وانى لك بهذا الامر
يا اصبح اولئك خبار هذه الامة مع خبار ايار هذه المتبة . فقلت
نعم ما يكون بعد ذلك . فقال نعم بفعل الله ما يشاء . فان له بداآت
وارادات وغايات ونهايات .

وهكذا انقطعت سلسلة ادنى بوفاة محمد هذا .
او بالاحدى بوفاة الحسن . وبذلك انقطعت الصلة الحية بين الار والسماء .
وغيما من كونهم فمروا ذلك تفسيراً بوضعهم . غير ان فكرة انقطاع هذه
الصلة التي كانت عليهم صدمة فاسفة . لذلك بادروا الي يطلبها
من جديد . نعم ان الامام القمائم قد تخيب . غير انه لم ينس ان
يحتزن وكلاً . بكل اليهم (اننا غيبته) مدمته الالهية .

(١) المصدر نفسه . ١٧٥ .

(٢) = = = ١٧٦ .

(٣) = = = ١٧٦ .

إيتاب المرتابون في أمر هؤلاء الوكلاء ، فير أن المعجزات التي حباها لهم
 الله بها ، وهي ما وزّوه عن الأئمة ، كانت ابتداءً تود الناس التي جادة
 الصواب . وهكذا عادت الثقة والسّانبة التي التّيكيس . واخذ الناس
 يبدعون التي و الوكيل الفسود التي كانوا يبدعونها تب التي الامام .
 وما كان على ذي الحاجة الا ان يذهب التي (العسكر) فيطرح سؤاله
 ويعد لحظطات يخرج له الجواب من (الصاحب) بواسطة (الوكيل) (1)
 وهناك مثلين من الاضلة المحددة التي يروها الكليني : قال احمدهم " شكت
 في امر حاجز (الوكيل) فجمعت شعبا ثم صرت التي العسكر فخرج
 الي ليس فبينا شكت ولا فيمن يقوم مقامنا بأمرنا رد ما معك التي حاجز
 ابن يزيد " . وقال آخر " ^{١٢٢} ولسد لي ولد فكنت استأذن في سده
 يوم السابع فورد ف تفعل فسات يوم السابع او الثامن فكنت بعونه لسود
 مستخذ غيري وغيره فسمي احمد ومن بعد احمد جعفر فجاه كما قال " (1)

تعاقد على منصب الوكالة هذا اربعة وكذا هـ عيين
اولهم الامام الحادي عشر هـ وعين كل من البقية خليفته - - - - -
امر الهـي - هـ غير ان الوكيل الرابع لم يعين خليفة له هـ بذلك انتقلت
الغيبة السعدري التي امتدت من سنة ٢٥٦ - ٢٦٩ هـ وابتدأت الغيبة
الكبرى هـ التي لا تزال سارية المفعول حتى الآن (٢) وسواء ما انتقلت
هذه (الغيبة السعدري) ~~بواسطة~~ وابتدأت (الغيبة الكبرى) حتى انبرى
الحديث يدعيها : قال ابو عبد الله " للقيام غيبتان احداهما قصيرة
والاخرى طويلة الغيبة الاولى لا يعلم بعائنه فيها الا خاصته تبعته
واخرى لا يعلم بعائنه فيها الا خاصته مواليه " . قال ابو عبد الله

(١) المصدر نفسه • ص ٢٨٨ - ٢٩٢ • (٢) يونس من هبة الشبعة • ص ٢٥٢ •

(٢) = = = ٢١١ • (٢٥٧) نقل من كتاب بحار الانوار

للعباسي ، الطبعة الثانية - ١٣٠٠ .

ايضا - لصاحب هذا الامر غيبتان احداهما يرجع منها الى اهل البيت والاخرى يقال هلك في اي واد منك فقلت كيف تصنع اذا كان ذلك قال اذا ادعاهم مدع غائبوهم عن انبياء يجيب نبيها منهم - (١)

وهكذا تعرفت الشيعة امامية على شخصية (مسيحا) واخذت منذ غيبته تقدر رجسته . سيما بعد انتفاء الحجة القصوى وابتناء الحجة الكبرى . فالرحالة ابن بطوطة يقرر علينا ما شاهدته من اهل الحلة بقوله : " ومقرنة من بلاد السوق الاعظم بهذه المدينة مسجد على بابها مستقر حبيب مسدود وهم يسمونه مشهد صاحب الزمان ومن عاداتهم انه يخرج في كل ليلة صلاة رجل من اهل المدينة عليهم السلاح ويأيدهم السيوف مشدودة فأتوا امير المدينة بعد صلاة العصر يأخذون منه ثوبا مسرجا طجما او معة كذلك ويضربون الخيل والانفار والبوقات امام تلك الدابة وينفذها خمسون منهم ويتبعها ملاحهم ومعني آخرون من يمنة وسمالة وأتون مشهد صاحب الزمان فيفتنون بالباب ويقولون باسم الله يا صاحب الزمان باسم الله اخبرني قد ظهر الفساد وكبر الظلم وهذا اوان خروجك فهم يعرف الله بنبي الحق والباطل ولا يزالون كذلك وهم يخبرون ادبواي والا بال والانفار الى صلاة المغرب وهم يقولون ان محمد بن الحسن العسكري دخل ذلك المسجد وراى نسيبه وانه سيجوز وهو الامام المنتظر عندهم. (٢) ويفي ابن خلدون - وهو مدافع لابن بطوطة - نفس هذه القصة مع بعض الاختلافات . ففي محضر كلامه عن الشيعة يقول : " الاثنا عشرية منهم يسمون ان الثاني عشر من اثنا عشر وهو محمد بن الحسن العسكري ولفظونه

(١) الكشي . اصل الداعي . ص ٢٢٨ .

(٢) رحلة ابن بطوطة (ترجمة ونشر ديفريسي ومانجهوني . باريس ١٨٥٣ - ١٨٥٨) ج ٢ ص ١٢٢ - ١٢١ .

المهدي دخل في سرداب بدايرهم في الحلة وتغيب حين اعتقل مع
 امه وغاب هناك وهو يخرج آخر الزمان فعلاء الارض عدلا بشيرون بذلك
 الى الحديث الواقع في كتاب التيمزي في المهدي وهم التي الآن
 بنظريته وسنونه المنتظر لذلك وثقون في كذا ليلة بعد صلاة المغرب
 بباب هذا السرداب وقد قدموا مركبا فيستولون باسمه ويدعون له للخروج
 حتى تستبكر النجوم ثم ينفسون ويحسبون الامر الى السيلة الآتية وهم
 على ذلك لهذا المهدي (١) ومعلل رونالدسن سبب انتظار الامامة
 خروج المهدي من الحلة مع انه اختفى في سامرا بقوله " ان حيلة
 كون الطائفة الشيعة قد سُمح لهما ان تتخذ مقرها بعد موت الموهبين
 في مدينة الحلة القريبة ، والتي قاموا فيها بمطارداتهم في زمن غزو
 هلاكخان ، ادى الى وجود الاخبار في ان صدور الامام المختفي في
 تلك المدينة " (٢)

وهكذا بقيت الشيعة الامامية تنتظر رجعة الامام
 الخائب كهمدي ، ولقد اتخذت هذه العقيدة - كما ذكرنا املاء - مركزا
 هاما جدا بالنسبة لهم . وغشا من كونهم رموا بظهور (او رجعة)
 هذا المهدي الى المستقبل البعيد ، غير ان انتظاره الذي طال
 امده كان سببا ما - را في صدور لشيخة والبابية والازلية
 والبهائية ، التي كان ظهورها تعبيرا من التوبة على هذا الانتار
 الطويل (٣) . فشهد عين السيد علي محمد الباب الخامس من جمادى
 الاول سنة ١٢٦٠ (١٨٤٤) كونه لانتهاية الخيبة الكبرى - بعد ان
 مر عليها الف سنة تماما - وادعى انه (الباب) للمهدي المنتظر .

(١) المفردة ، ص ١٢٩ .

(٢) عقيدة الشيعة ، ص ٢٤٢ .

(٣) = = = ٣٥٨ .

ثم ادعى انه هو الامام ، وبعدها ادعى انه (الفدائي) ، واخيرا ادعى الحلول الالهى . . . فكانت النتيجة ذروة العابية ^(١) . وهكذا ظهرت هذه الفرق الحديثة ، الواحدة بعد الاخرى ، غير ان فكرة انتشار المهدى الخائب لم تترجع بل بقيت عليها جمهرة الشيعة الامامية حتى الآن .

الخلاصة :

يضم هذا اسم مجموعة من الفرق الشيعة القطرانية التي آمنت بمعتقدات تتعارض مع جميع تعاليم الاسلام ^(٢) . والخلاصة هؤلاء هم اهل التفسير عن السنة ، اما اتبدهم فالزيدية ، بينما تفق الاثنا عشرية موقفا وسطا بين الطرفين ^(٣) . ولقد كان ظهور التفسير القطراني او الذاللي هذا قديما جدا ، وتنسبه المصادر الاسلامية السنية الى ابن سبأ وتقول ان عليا نراه الى ساباط واحدة بعد اتباعه . ولما نزل علي اتركه عبد الله بن سبأ موته وقال انه لم يقتل وانما قتل سبطان ينسبهم بينما سعد علي - كما xx سعد عيسى - الى السنة . وذهب بعض اتباعه الى ان عليا في الحساب ^(٤) . وآمروا بيجسده ^(٥) . وقال بعضهم الآخر انه المهدى المنتظر ^(٦) . واسرف بعض هؤلاء الخلافة قال

(١) روتلند من عقيدة الشيعة ص ٣٠٤ Browne, A Lit. Hist. of Persia, vol. II., p. 149 - 51, 159.

xxx

(٢) راجع ابن حزم ، كتاب الفصل ج ٤ ص ١٨٨-١٨٢ Browne, A Lit. Hist. of Persia, vol. II. p. 195.

(٣) R. Strothmann, Encyc. of Islam, vo. IV, art. SHIA, p. 352

(٤) الفریق بین الفریق والبذرادی ، الفریق بین الفریق ص ٢٢٣-٢٢٤ مابن عبدربه ، العقد الفهد ج ١ ص ٢٦٩

٢٦٩ ص ١٢٠ (٥) ابن عبدربه ، العقد الفهد ج ١ ص ٢٦٩

(٦) البذرادی ، الفریق بین الفریق ص ٢٢٤ . الطهر العفدي ، البدء والتايخ ج ٢ ص ١٨١

ابن حزم ، كتاب الفصل ج ٤ ص ١٨٠

ان جسيبريل اخطأ فأبلغ الرسالة الى محمد بدلا من علي ^(١) . وتصادى
 البعير فقال ان عليا هو الله ^(٢) . وما لا نسب فيه انه كان للافكار
 الاجنبية انما كبريا في منأ وتطور هذا التصنيع الغالي . ومنذ وقت
 مبكر جدا وجدت الافكار الهدمية بيئة صالحة في هذه الدوائر الغالبة
 او لنقل ان هذه الافكار الهدمية دخلت الفكر الاسلامي من طرية
 هؤلاء الغلاة بالدجنة الاولى . ولم تكن حركة المختار الاعتماد
 من هذا التصنيع الغالي .

لم يكون هؤلاء الغلاة قوة معينة تجمعهم . بل
 انهم اندسوا في صفوف المجتمع الاسلامي . سيما الشيعي ، واعيدوا
 ههنا لظهور عدة حركات مبرقة في العهد . كما كانت اوساطهم مرتعا
 لافكار مبرقة في التأليف ، سيما الافكار الهدامة القابضية . ان ان
 الفرس وجدوا في اوساط هؤلاء الغلاة خير تربة ينفثون فيها سمومهم
 السموية . فالحرب الشعبية التي بدأت ضد الجندر العربي تسووت
 الى حرب ضد الدين العربي .

وبكذا سارت هذه الحركات والافكار العالية التي
 ان دخل سلطانا ، فيما بعد ، في الفترة الشيعية المسماة بالسجدة
 او الاسماعيلية ^(٣) . ولقد اطلق هذان الاسمان - جنبيا الى جنب مع
 الاسماء الاخرى الكثيرة مثل الباطنية والتعليمية الخ - على هذه الفترة
 نسبة الى امام السابع اسماعيل الذي اعترف به كخليفة لابيه (جعفر
 الصادق) بدلا من (موسى الكاظم) الذي اعترف به الانسا عشية .
 ولم يباشر اسماعيل هذا الامامة انما تركها لابنه محمد * الذي اصبح
 الامام السابع الحقيقي وحل بذلك محل ابيه اسماعيل ، ثم ولجه في
 الامامة اخلافه في سلسلة متصلة كانوا ائمة ((مستوين)) متخلفين .

(١) البغدادي ، انغرى بين الفرق ، ص ٢٣٧ . ابن حزم ، كتاب الفصل مع ٤ ص ١٨٢-١٨٤ .

(٢) = = = = ١٢١-١٢٦ = = = = ١٨٦-١٨٨ .

(٣) Browne, A Lit. Hist. of Persia, vol. II, p. 195.

اجتنبوا الجاعرة بالدعوة الى اللحظة التي انعت فيها الحركة الاسماعيلية
 بـ **بائسوس** الامام الشرعي في نجد عهد الله على اعتبار انه المسمى **العترة** ^(١)
 ومن هذه الفرقة اسماعيلية انعدت اعتقاد الحركات التي حاربت الخلافة
 العباسية حريا ايرانية دعوا انتدعت بانتقام هذه الخلافة وتحطيمها
 وما حروب القرامطة ^(٢) المتعددة . وحركة النعمانية ^(٣) الخليفة . وذلك
 السوامة التي استمرت على قيام دولة الفاطميين في شمال إفريقيا الا
 نتيجة من نتائج الحركة اسماعيلية .

استنفاد قواد الحركة اسماعيلية من الانكسار
 الفارسية الهدامة ، والافكار الانلاطونية الحديثة ايما استفادة . وابتدعوا
 من هذا كله دساما فكريا جويدي الحبيب متين التركيب عمل دعاء هذه
 الفرقة على نثره بين الناس في كتمان عظيم ومراعاة فائقة . وضعموا
 دساما فلسفيا هو سورة تاريخية منعكسة لذنية الفيزي الكوني . يذهب
 الى ان المسمى - وهو الذي صلب الفاطمي السابع - سيأتي برمسالة
 تفوق كل ما قبلها وحتى رسالة محمد . ومن الواضح ان هذا التلميح
 لفكرة الهداية محمد احمد رسائل الاسلام الاسامية - اذ يملأ ان
 محمد هو خاتم الانبياء . فلا الاسلام السي ولا التلميح المألوف بنسك

- (١) جولد تسيه : العفيدة والشيعة في الاسلام . ص ٢١٢ .
 (٢) قالت القرامطة ان محمد بن اسماعيل حي لم يموت في بلاد اليوم وانه القائم المسمى .
 ولجم (التوخي) في الشجرة ص ٦١ - ٦٢ .
 (٣) احمد الاماكن التي بشر بخروج المسمى منها هو قطعة الموت .
 (المهر المسمى . الهدى . والتايح . ص ٢٠٢ ص ١٨٢) .

في ذلك^(١) . ولم تتعد رسالة المهدي في ذم الكمل - بلاه الأثر
فقط وهذا يعني السير حسب تعاليم النبي ، لا لإلحاق
بما هو خير منها .

وقرب نهاية القرن الثالث الهجري أصبحت السوف
ملائمة لظهور هذا المهدي الأساطيري . ولقد ارتأى دعاة ان يظهر
في بلاد الغريب ، لملائمة الأحوال هناك . واستعمل الدعاة سلاح
الاحاديث المهدوية في الدعاية والتمهيد لظهوره فخرجت علينا هذه
الاحاديث ، لا في صورة ، بنكارة ظهور المهدي في بلاد الغرب^(٢) -
وهو تعديل فرضه السوف أيضا - بعد ان كان ظهوره فيما مضى
في مكة او سوريا او الشرق الأقصى ... ولقد دعات الدعاة عموما
واي عبد الله النبي خصوصا ، تمهدت الطريق امام هذا القمدي ،
ليصل الى كوسى الخلافة . وهكذا خرج الى العيان اول امام من
الائمة اساطيريين المستويين .^(٣) ولما في معرض الكلام عن نسب محمد
الله هذا ، المهدي ، وما اذا كان خليفة على النبي ، ام بدو به ،
وبما يكن من امير فان حركة هذا المهدي هي اول حركة مهدوية
عربية اسست من تأسيس دولة ، بل امبراطورية دانت لها بلاد المغرب
ثم مصر ومغربية وسوريا ومكة ، والمدينة ، هذا بجانب فتوحاتها الوتة
في جنوب ارميا ، امبراطورية دامت من سنة ٢٩٢ - ٥٦٢ .

(١) جولد تسيور ، العترة والشبهة في الاسلام ، ص ٢١٢ - ٢١٤ ، Grunebaum, Med. Islam, p. 196 - 7 . Browne, A Lit. Hist. of Persia, Vol. II p. 195 - 8.

(٢) القرطبي ، التذكرة ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ ، ٢٢٦ ، Hurgronje, Vers. Geschrift, vol. I, p. 164.

Grunebaum, Med. Islam, p. 197.

(٣)

وهكذا حكم المهدي ! فهل " ملا " الارض قسما
وعلا كما ملئت ضلما وجورا ؟ كلا . فلقد كان حكمه كحكم ابي خليفة
آخر ، وفقد واول ضحية له كان ابو عبد الله الشيعي . نعم ، ذلك
الجميل الذي يهد الطريق لهديته ، هذا واستمرت الخسائر والحروب
الداخلية ، في عهده وعهد خلفائه . ولم تخرج الارض كنوزها بل كثرت
الزلازل وانتشر الطاعون وعم القحط في اوقات كثيرة ، وشمل فتح المهدي
الارض ؟ طبعا كلا ، فلم يفتح منها الا جرث بدية وسير جدا منهم
زاد عليه خلفائه واخيرا خسروا كل شيء . . . ومضى هذا المهدي او
المتهمدي كما مضي فسيو لم يخلف اليه الذكرى ، وبعض التوقع الذي
اضيف الي الاحاديث المهدوية .



((الفصل السنائي))

السنانيون عموماً وكسرة الهدى

نقد يستفتح الظاهر ما تقدم ان فكرة الهدى المنظومة
والحركات التي نتجت عنها ه كانت محصورة في الارسطاط الشيعية دون
سواها . وهذا غير صحيح . ان الكثيرين من اجل السنة تبسوا هذه
الفكرة ايضاً . والواقع ان فكرة الهدى اصبحت منذ ثورة المعتزلة -
علم الثورة برفعهم كل من يتور على على الخليفة نسيباً كان او سنياً ه
كما كانت قبلها ومدهما متقد رجاء اولئك السنن انفسهم والسنن
تفسير الوضع السني .

والناظر يحمل الانسان على الظن ان هذه الفكرة كانت محصورة في الدوائر
الشيعية هو تفصيلاً الغير محدود في اوساطهم . واحداً سبب ذلك
هو سوء تعريفهم به ثم تركبوا ذلك الانحراف في معتقداتهم
الشيعية .

لبي مدبر . كما قلنا من مضمناً هذه الفكرة ه قلنا ايضاً حذرت اهل ما عدايت
بين اهل السنة والرواد عموماً ه والشيعية خصوصاً . وكان ظهورها في
وقت لم ينفذ التشيع فيه فكيف السني النهائي ه نساهم في حمل
رأس اهل الرواد ه السني قدّر لهم ان يكونوا فيما بعد المذهب
السنني (سيما الاثني عشرية والرواد مذموم) كما نساهم السني قد حوزوا الى التشيع
العمومي . وكانت اهل حركته مدته قام بها سني ه كما منهمين لسيما
بعد ه هي حركة الخطياني : وتلاها ظهور الهدى الاموي .
السناني ه ولقد سبق لنا (اعلاه ص ١٥٥ - ١٤٤) ان سردنا قصة
استدلال الدعاةيين ه السنيين ه لفكرة الهدى . وهكذا سارت

الحركات المودوية السلبية ، وتلك ما يسمى بالـ إيديولوجيا . من قبل قواد هذه الحركات ، لا يسهل الفكرة ، ومنها التي جعلت هذه الحركات المودوية السلبية ، مسار الإيمان الدينامي بهذه الفكرة شافيا طريقته التي عدت القواد عامة الناس الساذج المتبرمج للأوضاع ، إيمان كانت ابتدا تغذيها الأفكار (الإحاديث) السلبية من جهة ، وأفكار القواد الاستغلاليين (المتعديين رعايتهم) من جهة أخرى . ولما كانت هذه المتعديين من هذه الفكرة وإيمان بها منو النشيطين النشوي ، لذلك تركت هذه الحركات وتلقت أفكار المودوية آثارها بصفة نسي الإحاديث المودوية كما ينبغي أن يكون .

وقبل ان تبدأ عرضنا لفكرة الأفكار المودوية نسي الأوساط السلبية علينا ان نذكر ان هذه الأفكار لنتم فصل فيما التي درجة الانتماء الى الأساسية مطلقا . ولم تدخل تأمينا في بداية السني الحديثة الأوروبية . بدأت هذه الفكرة نسي الأوساط السلبية كأمثلة سلبية ، وسبق ما عُدّ بها التي فصل انتماء الساذج الى السيل السلف ، دون ان تنال الجسم أهل المسفة نسي نيتك الطموح .

الفخطمانى ١ -

ظهرت بمدينة هذا الفخطمانى فى وقت قريب جداً من
 ثورة العشرين . أما هذا الشخص الذى تلقى بالفخطمانى فهو عبد الرحمن
 ابن محمد بن الأشعث . وصف المصادر ابن الأشعث هذا بالتموج والانهارية .
 نتيجة جعلنا نحكم عليه بأنه قريب النسب بالخيال : فعندما استند
 امر الأخير وجاء ابن الأشعث الى أبيه وقال له " على ماذا نقيم في
 غير عز ولا شرف ولا انتظار ثرة " ولم يزل به حتى آدم الكوفة ودخل
 على الخيلى فلم يسمع له ودعا له وعفاً ومضى عليه ان يجلس للنفساء
 فأبى ذلك ^(١) . والامر ان يخرج الخيلى عرض أبيه ترك لى نفسه اثراً
 شيئاً ففزع الخيلى . ثم حاربته كائسدت من امرة صاحب من الزبير ^(٢)
 ولما قضى على الخيلى عيين صاحب ابن الأشعث واليا على البصرة ^(٣) .
 وبعد القضاء على حركة ابن الزبير انضم ابن الأشعث الى صفوف
 الأمويين واعين من قوادهم الذين يعطون تحت امره الحجاج .
 وفي سنة ٨١ أرسله الحجاج في جيش كبير حوى العدة . بسى جيش
 الدسوايس . الى سجستان لغزو ربيع ملك زابلستان . فتح الكثير من
 بلادهم . ثم وقع بينه وبين الحجاج اختلاف فاستدعى الأخير بخرقة
 غليظة . فدنا ابن الأشعث من معه من يومئذ العراق لخلق الحجاج
 فأجابوه . ثم جمع لأخراج الحجاج من العراق والطالب من الخليفة
 (عبد الملك) إرسال غيره . وما ان وصل اصطخر فارس حتى " قطعت
 جموعه ولحق به كثير من اهل العراق ويزماتهم ونسائهم ونسائهم " .
 فتسموا بالقوة وخلق الخلية الاموى وخلعه معه الساء . وندها " سقى

(١) البلادى ، انساب الأشراف ، ج ٥ ص ٢٢١ .

(٢) = = = = = ٢٦٠ ٢٦٢ .

(٣) = = = = = ٢٧٦ .

نفسه ناصر المؤمنين وذكر انه الفطساني الذي بفتوحه اليمانية ، وانه
بعيد الملك فيها . فقبل له ان الفطساني على ثلاثة احرف فقال اسمي
عبد واما الرحمن فلبس اسمي ^(١) فختلج بهم واقتنع اتباعه بهذا الجواب
اليسيل . انهم يحسبون الخروج . وهكذا اخذت حشوه اتباعه تتزايد فيها
نفسا والتهم من الجمل في حوالي ~~من~~ ثمانين معركة يخلفها السمودي
بقوله " ولم يكن بعد وقائع صفين اعظم من هذه الحروب ولا اهل من
هذه الردى " واخيرا نكس الجمل بعد غنت لا بعد له من فخر
فواه فخر (٨٤) الى سجستان حيث انتقم مائة الوقع في بلد الحجاج ^(٢) .

هذه حركة مهددة ليست شجيرة . لمعظم انصار
هذا التمدد كانوا من القراء والنسك ، واذ لم يكن ان النسبة ساعدوه
في حركه ، فانما فعلوا ذلك حبا في الخروج . نزل انما حركته
لا يمكن ان تكون شجيرة لان الجمل ذكر صراحة ان مبعثه ~~كلمة~~ اعادة
الملك لليمانية ، بينما كانت جميع الشجيرة تنتظر دولة آل البيت . ثم ان
الشجيرة لم تتعلق قلعا باسم الفطساني كتابة عن المصدق .
بقيت مسألة عامة اشار اليها المؤلف الفرس في بقوله " ولما خرج
عبد الرحمن بن الاشعث على العجل تسمى بالفطساني وكتب الى الحطال
من عبد الرحمن ناصر المؤمنين لنيل له اسم الفطساني على ثلاثة
احرف فقال اسمي عبد وابن الرحمن من اسمي فبدل هذا ان هذا
الفطساني كان مشهورا عندهم " ^(٢) . فتعلق المصديقي في محله . اذا
صحت روايته ، ورواية السمودي ، عن اجابة ابن الاشعث لاتباعه بهذا الجواب .
فصتق بروز هذه النسبة ، الفطساني ، للمعظم ؟ وقد كان كما تعلم
هو الجند الاكبر الذي انتسب اليه عبيد الجند . مقابل عدل ن

(١) التقييد والاشراف . ص ٣١٤ - ٣١٥ .

(٢) البدء والتاريخ . ج ٢ ص ١٨٣ .

الذي انتسب اليه عرب الشمال ^(١) . فقل بيز هذا المهدى (الغطلي)
في العصر الاسلامي ، ام قبله ، في ذلك الوقت الذي كان فيه اليمن
يئن تحت كابوس الاحتلال الاجنبية الحبشية والفارسية ؟ ومألة قدم
فكرة اخلمر عند عرب الجنوب مسألة منعود اليها مع الكثير من
النسج فيما يلي عند كرمنا من اسم آخر للمهدى (الغصور) .
ونحن اذا تركنا جانبا مسألة قدم هذه التسمية عند عرب الجنوب ،
ونظرنا اليها كمسألة ظهرت في الاسلام ، نرى انفسنا وجهنا لوجه
امام اول ائمة مكنى لفكرة المخلم في المباحثات الاقليمية والفلسفة
في الاسلام . لهذا وصل ينتهي لعرب الجنوب بموق اخوانه في
حروب ضد عرب الشمال لعهد الملك في بني وائل .

ومما يمكن من امر ، فقد انشأت صفحة هذا
الخطابي ونسبت حركته السياسية والعسكرية ، لكن ذكرها بنيت عاقبة
في الاذهان ... وهكذا دخل هذا الخطابي في عداد الابدان
السامة .

السفاني ، -

كان لانتقال الحكم من الفخ السفاني الى الفخ
المرواني - وهما فرعان من الاسرة الاموية - في ظروف غامضة
ان نشأ بين الفرع السفاني امل في رجوع الخلافة او الامامة
نفسه ^(٢) . بدأ هذا الانتقال عندما تربع مروان بن الحكم (٦٤ - ٦٨)
على كرسي الخلافة . ومنذ ذلك الوقت انتظم اعضاء الفرع السفاني
في صفوف معارضي الدولة . وعلى الطريقة المتبعة آنذا ان نعت افراد

(١) A. Fischer, Encyc. of Islam, vol.II, art.KAHTAN, راجع ،
p. 628. Hurgonje, Vers. Geschriften, vol. I. p. 156

(٢) Macdonald, Encyc. of Islam, vo.III, art.AL-MANDI
p.114.

هذا الفرع البائس من فكرو المهدية مهديا بنقصونه : وهكذا صدر اسم (السياني) ...

وتذهب بعض الاخبار الى ان خالد بن يزيد بن معاوية (القوي سنة ١٠) هو اول من اخترع هذا المخطم السياني . ووصف البيهقي خالدا هذا بأنه " كان اول فلاسفة الاسلام وحقير فيل ان علمه من الذئ استخرجه دانيال من غار الكنز وهو الذي اودعه آدم ابو البشر ما علم " (١) . ويقول اذ عبهاني رواية عن مصعب " ورووا انه هو الذي وضع خبر السياني وكبره . واذا ان يكون لشاعر فيه طمع حين غلبه مروان بن الحكم على الملك وتزوج امه ام هانم وهذا وهم من مصعب فان السياني قد رواه غير واحد وتاهمت فيه / الخاعة والعامية وذكر خبر امه ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين عم وغيره من اهل البيت " (٢) . ونحن نشاطر احمد امين " شك في صحة نقد الاصباني بهذا الخبر . ورواية ابن تغري بردي تلقي بحر الضم على ما نحن بصدد : فيل " فيل : ان خالدا هذا بوم بالخلافة بعد اخيه معاوية بن يزيد بن معاوية فلم يتم امه . ووثب مروان بن الحكم على الامر وخلص خالدا هذا وتزوج بامه وفيل : انه هو الذي وضع حديث السياني انه باني في آخر الزمان لما كمع بحديث المهدي " (٣) . فهذا اجل طموح الى حد بعيد حرم من الخلافة التي بوم فيها . ثم ان المنتصب امه عندما تزوج من امه . فلماذا لا يفكر في الانتقام من المنتصب ؟ ولكن خصه نوى جبار . فما كان منه الا ان تعلم من امه هذا الخلية (او اعداء الخلافة) استعمال سلاحهم . فتحت مهديا سبانيا على غرار المهدي

(١) الاثارة باقية : ص ٢٠٢ . (٢) ضحى الاسلام : ج ٣ ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .

(٢) الاغانى : ج ١٦ ص ٨٥ . (٤) النجوم الزاهرة (طبعة دار الكتب المصرية) .

١٢٤٨ هـ - ١٩٢٩ م) : ج ١ ص ٢٢١ .

الملوك او الغطاساني .

ومما يكس من امر فان الامل يرجع الامر في بني
سفيان اصبح محدد انصار اعصاب هذا الفرع الاموي الذي ناصب
الاسيرة الحاكمة المدة . ثم دار الدهر دورته وسفلت الخلافة
الاموية بأجمعها . وتبع بنو العباس على كيسي الحكم .
ولم يخضع بنو امية ومن خلفهم اهل سوريا - كما لم يخضع الشيعة -
لهذا الامر الواقع . بل اندم ناصبوا الخلافة العباسية المدة . ولم
يعدم الامويين شيعة بمسيرهم في ركابهم . فعنت في خيامهم
الملوك البعيد كان لهم شيعة بناصروهم ^(١) وفي عهد مبكر جدا
بدت مقاومة الامويين للخلافة الجديدة عنيفة وعلى اشدّها .
فانطلق ذلك الرجل الذي سقى فيما بعد بغير قريش ليكمل في
الغريب ما بدأه ابيه في الشرق . اما الذين بقوا في الشرق .
فانهم حاربوا الخلافة بغفر السلاح الذي حاربها به اعداءها
سيما الشيعة . وهكذا التفت جميعهم حتى الامل للبحر بظهور
المهدي الذي سجد الملك فيهم : السيفاني . بذلك تطوّر
هذا المهدي الذي بدأ كصير لفرع من الاسيرة الاموية ، التي ان
عمت رسالته فاصبحت تضم الاسيرة الاموية بأسرها ^(٢) .

على نفس الطسيرة الشيعية . اخذت الاسيرة الاموية
تقدم السيفاني ثلث الآخرة . وكما ظهر احد هؤلاء السيفانيين كانت
تتضم حوله جميع الماخطبين على الدولة . كما فعلت مع المهديين
الآخرين . وعندما خرج (١٣٢) ابو محمد (زياد) بن عبد الله بن

(١) المصردى . التنبيه والاشراف . ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

(٢) راجع : Hurgronje, Vers. Geschriften, vol.I, p. 155.

يزيد بن معاوية في حطب مطلقا بالسفباني بأمة الذين " بيضوا " عليهم ودعوا اليه قائلين " هو السفباني الذي كان يُذكر " (١).

بيد ان فواد ابي المبحاس المصنف وضعوا هذا لهذا السفباني ونورقه . وبعد ان فسدت مهدي (اوسفانية) ابي محمد هذا اختلف الناس فيه بين قائلين ان النبوة قد تحقت بظهوره . ونكسرين ذلك بقوا على انتطاعهم للسفباني الحقيقي (٢).

وكما ازداد ضغط العباسيين على بني امية وانجاءهم كما ازداد اعتقادهم بظهور هذا السفباني المنتظر . ولقد جرى الاسويون فنون حرب زمانهم . فوجدوا احاديث تنسب وامانيهم . روى عن النبي انه قال لي معروض ذكره ولد المبحاس " يكون هركهم على يدى رجل من احد بيت هذه واوا الى حف حبيبة بنت ابي سفبان (٣) فاستعمل (حبيبة) كان لا بد منه . جريا مع فنون الزمان . حتى يجاى هذا الحديث الاحاديث الشيعية التي وتبدل ان يكون منجده المهدي " من ولد فاطمة " او " من بني فاطمة " (٤).

هذا ولم ينف العباسيون مكتوبى ان يدى امام

هذا المدور (السفباني) الجديد . بل حاربوه كما حاربوا غيره من المهديين . فكما حاربوا الامويين بسلاح القوة والضغط . كذلك شنوا عليهم حربا " مهدامة " . وبين غلبة وضحاها اصبح هذا المهدي بؤرة فساد واجرام . يظهر في دمشق فيتبعه اموان مجرمون

(١) الطبري . تاريخ الرسل والطون . الجطة الثالثة . ص ١٣٢ .

(٢) العهد العباسي . البدء . والتاريخ . ج ٢ . ص ١٧ .

(٣) - - - - - = - - - - - = ١٧٦ .

(٤) ابن خلدون . المقدمة . ص ٣١٤ .

مثله يفترون بطوس الحبالى وفترون النار بالناسير ، بل ويحوصهم في
 القدور . ثم يبعث جيشا من اعوانه الى المدينة يحملون فيها الدمار
 والخراب ، حتى انهم " يبنشون عن قبر النبي علم وفير فاطمة رضاء
 ثم يقتلون كل من اسمه محمد وفاطمة ومليونهم على باب المسجد " ،
 عندئذ يستد غيب الله فيخسف بهم الارض . وفي خبر (اوحديث)
 آخر يذكر انهم بعد تدمير المدينة يتوجهون الى مكة التي يكون
 قد هدم فيها المذبح (!) فيتوجه المذبح للقائم معه اثنا عشر
 الفا منهم اربطال والاعلام حتى يأتي المباءة فأسير السفيناني وغير
 على كلب (!) منهم ثمانون (x) ومسي نساء ودم . ولما تعلم على
 وجه الضبط واليقين ما اذا كان العباسيون وحدهم مسؤولين عن
 هذا العبث الشنيع بالسفيناني ، ام هل شاركهم فيه بقية اعداء بني
 امية من شعبة علويين واقرباء وغيرهم . كما لا نستطيع ان نحكم
 بالضبط عن الوقت الذي وضع فيه هذا الحديث او ذات ، او هذا
 القسم او ذات من الحديث . وفي حديث اثنا عشرى متأخر ، وضع
 على لسان ابي عبد الله ، يقول فيه متحدثا عن الامام الثاني عشر
 الذي اختفى : " لا بد من قتل غلام في المدينة " ولما سألته
 احداهم " البر يقتله جبر السفيناني " قال " لا ولكن يقتله جبر
 آل بني فلان " . (١٦) سيما ، لقد انقضى منذ عهد سعيد الحكم
 الاموى ، ولم يعد من الضروري ان يجسني بنو امية على هذا
 الغم المهدد ، انما يفعل ذلك غيرهم ، الحاكمون ، بنو العباس .

(١) العظمى المندسي ، البدء والتاريخ ، ج ٢ ، ص ١٨ - ١٨٠ .

(٢) الكليني ، اهل الكافي ، ص ١١٦ .

(x) يذكر البلاذري (انساب الاشراف ، ج ٤ ، القسم الثاني ، ص ٨) عن خالد بن يزيد
 هذا الخبر : " وكان خالد يتعصب لاختوال اسبه من كلب ومبئهم
 على ليس في حرب فير وكلب " .

ومما يكن من امر فقد ضيق الامويون بهذه الامانات

التي لحقت بهديهم سر الحائط ، وثابروا على انتصاره وتبجيله ،
وثابر متصدونهم على الدوام ، فخرج ايام الخطبة الدامسي موسى
الهادي (١٦٩ - ١٧٠) دحية بن ميعب بن اسير بن عبد العزيز ، ولكنه
فشل وتسل (١) . وخبر بالتمام (١٩٥) علي بن عبد الله بن خالد بن
يزيد بن معاوية وتلقب بالسفاني . ونهت حركته ، وكان اكثر اتباعه من
قبيله كلب ، غير ان نواد الخليفة (الامين) بمساعدة قسبية
قيس قتلوا حركته (٢) . وحتى في عهد الخليفة المعتز (٢٥٢ - ٢٥٥)
ظهر آخر بحران ففقد عليه عامل الخليفة عليها (٣) . ولا تذكر المصادر
التي وجمعنا اليها ان الثاني والرابع من هؤلاء حمل لقب السفاني
بل تذكر فقط انهما " خريفا " . ولا داعي لان تذكر المصادر ان فلانا
قد تلقب بلقب الهادي او السفاني ، ان " الخريج " والهدية
وادعاء الهدية اصدا مترادفين .

وبعد ان خرج من خبر من الامويين للمصالحة
برد الامر اليهم ، وبعد ان فشلوا - كما فعل العلويون - في مقاومة
الدولة العباسية المتباعدة ، تركوا امر الخروج هذا ، واخذوا يخطون
في احدهم خطوة لسذبة - تماما كما فعل العلويون - ولعدم مل تحسن
بصدده فثبتت هذه الحقائق الهامة التي لخصها لنا الصمودي عن كتاب
اطلع عليه عند شعبة الامويين ،

* ورايت في سنة ٢٢٤ بمدينة طبرية ... عند بعض مسوالي بني ابي
من يفتحل العلم والادب وتحيز الى العنانية كتابا له نحو من
ثلاثمائة ورقة بخط مجموع مترجم بكتاب البراهين في امامة

(١) ابن دريد ، كتاب الاختلاف ، ص ٤٨ . (٢) ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ - ٢٣٥

(٣) البغوي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٦١٢ . البغوي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٥٣٢ .

الامويين ونشر ما ظهرو من فضائلهم ابواب مترجمة ودلائل مفصلة يذكر فيه خلافة عثمان بن عفان ومعاوية وزبيد ... الى مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ثم يذكر عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك وان مروان بن محمد نصر عليه ومحمد بالامر له بعده ونفس سائر من تملك بالاندلس من بني امة من ولید عبد الرحمن القديم ذكرهم الى سنة ٣١٠ وذكر محمد بن عبد الرحمن بن محمد الواسي عليها في هذا الوقت وهو سنة ٣٤٥ وعصف لكل واحد منهم فضائل ومناقب وامورا استحدث بها ادمغة ونسوسا على اسمائهم واعيانهم وادعى الاخبار المتواترة انجائية مبيحة الا مستفاضة وعزى ذلك الى شيعة العثمانية ورجال السفانية واتساء المروانية معايناهل الاسامة وهم منصور الشيعة في النصوص والنفل ومستدلا على فساد اناول اصحاب الاحتبار من المعتزلة والزيدية والخواارج والمجسنة والحنفية والثالثة ، ومناقضا لاصحاب الفخر على ابي بكر من اصحاب الحديث ، واليهودية من الخوارج والبكرية اصحاب بكر بن اخت عبد الواحد وغيرهم واتى بمسائل ومعارضات على من ذكرنا والزامات وذكر من بعد ذلك اخبارا من اخبار الملاحم الآتية والاخبار الكائنة ما حدث في المستقبل من الزمان والاتي من الايام من امور اميرهم ورجوع دولتهم ونهوض السيفاني في الوادي الجابر من ارض الشام في غسان وقضاة ولخم وجدام وقايات وحروب ومسير الامويين من بلاد الاندلس الى الشام وانهم اصحاب الحبل الشهب والرايات الصفر وما يكون لهم من التوائع والحروب والغارات والرحلات (١)

من هذا الطحار لهذا الكتاب القيم نرى ان الامويين لم يتخلطوا من اتباع الطريق التي اتبعها غيرهم من احزاب المعارضة . انهم بأملوا في رجوع امر اليهم على يد مخلصهم السفاني . وبعد محاولات ذكرنا بعضها اعلاه - تذف الامويين بأمانتهم هذه الى مستقبل بعيد مجهول . ولكنهم لم يعمدوا ذلك . اى انهم لم يجازوا النجعة في التغاضي من ايمان بوجعة هذا السفاني او ذاك . او اسباع لوان الفداء على مرشحهم . او عدم الاعتراف بوفاة من توفي منهم . وهم وان ذكروا انه كان لخلقاتهم القابا دينية (x) كالتي حظها بعدهم العباسيون . لهم لا يعنون اكثر من احتراهم لانهم - حسب رأيهم - ساروا على السراط المستقيم . ومع انهم بشروا وآمنوا برجوع الامر

(x) يذكر المسعودي (التنبه والاعراف ص ٢٢٥ - ٢٢٦) انه اطلع منذ بعض نجعة بني امة العتاهيين على روايتين تدلان على انه كان لمن ملك من بني امة القابا كلقاب خلفاء العباسيين . كلقب معاوية بالناسير لحق الله ومروان بالمؤمن بالله وعبد الملك بالمؤمن لامر الله وسليمان بن عبد الملك بالمهدي وهشام بن عبد الملك المنصور . . . وطبعوا . ثم ينتقد صحة هاتين الروايتين بحجة نحن اليوم ندرها فسادها . يقول المسعودي " وهو وان جاء به اثنيان الروايتين فان الكافة على خلافه . لو كان الامر على ما ذكر لهم واشتهر واستفاضوا في الاخبار الطويلة القاطعة للمعذر والاعمال الموروثة . لما لم يذكره الجهدور بين جلة الاخبار ونقطة السير والانا . ولا دونه مستفوا الكتب في التواريخ والسير ممن ذكر اخبارهم ووصف ايامهم ممن تولاهم وانصرف عنهم علم ان ذلك لا اصل له .

فيهم ، غير ان ذلك لم يعتمد ان يكون املا سياسيا عربيا . ولا نعتقد ان الامويين مسؤولون عن اعدام سفيانهم في الاحاديث الموسومة بأحداث اضطراب الساعة ، بل فعل ذلك اخصامهم بعد ان شوهوا هذا الهدى ايما تشويه .

ومعنا يكن من امر نلفد بقي الامويين ينتظسون رجعة الامر فيهم على يد هذا المظلم السفاني لمدة طويلة كما يشهد الجليلي (٢٦٢ - ٤٤٨) . ونقول جيونباوم (٢) ان هذا الاقترار دام لما يقل عن اربعة فروع بعد سقوط الدولة الاموية .

وعما من تراخي الزمن وانقطاع اصل الامويين في وجه الامر اليهم ، فقد بنيت خرافة هذا السفاني تحتل مكانها اللائق بين الاحاديث العديدة ، وهي اثناء ذلك في ازدياد وتوسع مستمرين . ففي مجموعة الاحاديث التي جاءنا بها القسري (٦٧١ - ١٢٧٢) نرى آثار ذلك واضحا . ونسب ما في هذه الاحاديث ذلت الحديث (التوفيقي) الذي حاول فيه الجامع ان يجمع بين السفاني المظلم (الهدى) والسفاني الدجال (مدو الهدى) : اولئك بين الاحاديث التي وضعها الامويون من هذا السفاني والاخرى التي وضعها عنه ~~للمسلمين~~ اخلاهم (١) : تكون فتنة بين اهل الشرق والغرب ، وفي اثناء ذلك يظهر السفاني من الواد الباهر ثم يخزل دمه ويرسل جيشين ، احدهما الى الشرق حيث يحرق الدمار بيني العرب ويقتل منهم ثلاثا . ثم يكن هذا ما اراده الامويون من سفيانهم ولكن واضح الحديث يتابع قصته : ثم يرجع ذلك الجيش بفنائمه متوجها نحو الشام . ولكنه يلقا

(١) الآثار الباقية ، ص ٢١٢ .

بـخروج المهدي من الكوفة نفقت المهدي هذا الجيز وستولى على غنائم .
 هذا مسير جيش السفاني الالى ، اما الجيز الثاني - الذي يتوجه نحو المجاز -
 فان الله يسلكه بعد ان يخرب المدينة ويتوجه نحو مكة ^(١) . بيد ان حديثنا
 آخر ، يفتي فيه السفاني باسم محمد بن عروة السفاني ، لا يرتضي
 ان يملك جيشه على يدى الله ، بل على يدى المهدي الذى يكون آنذاك
 في مكة . وطبعاً لا يملك هذا الجيش الا بعد ان يدمر مدينة النبي ^(٢) .
 وفي حديث ثالث يذكر ان هذا المهدي سيخرج من انصر المضرب .
 حيث تكون رايته بيضاء وصفراء ومكتوب عليها اسم الله الاعظم " لا
 تدرك له راية " . اما فبا هذه الريات وانها انهما - طبعاً المهدي يكون
 تحتها - فمن ساحل البحر بوضع يقال له ماسة من جبل المضرب
 حيث يباح للمهدي . ثم يجاهد الناس - وهو كاره لذلك - مرة ثانية
 في مكة بين الزكر والغمام ^(٣) . وما ان يتم للمهدي ذلك حتى يأمر الناس
 بالخروج معه لمحاربة عروة بن محمد بن السفاني - عدو الله وعدوهم -
 فيخرجوا لمحاربه ومحاوية من معه من كل في الناس ^(٤) . وليس من الغريب ان
 يجمع القرطبي في تذكرته جميع هذه المتناقضات ، بل الغريب انه يؤمن بها جميعها .

(١) التذكرة ، ص ٢٣٠ .

(٢) = = ٢٣٠ - ٢٣١ .

(٣) = = ٢٣٢ - ٢٣٣ .

(٤) وفيما هذا حديث (توبلي) آخر ، وفق بين حديثين بفهل المدا
 بنسور المهدي ومبايعته بمكة ، بينما ينقل الآخر - وهو أحدث
 من حيث الوقت - ان ذلك يكون بالمضرب الانصي .

الضمور (x) -

وهذه تسمية أخرى لهذا الخط. فربما عليها مبدئية هنا وهناك في شتى المصادر. ولم نستطع - بما لنا في المصادر الأولية التي رجعنا إليها - ان تكون معنا صورة تأخذه كاملة. حتى ان المؤرخين الحديثين المسلمين كتبوا عن كلمة الهدية لم يعمروا لهذا الضمور. اللهم الا فان طولي^(١) وبنارد لهر^(٢)، اللذين انشأوا السبب بصورة خاطئة دون ان يعمروا اصل هذه التسمية وتضويها ما قد تستدعيه من نية. ولما لم نستطع ان نحدد بالضبط مفعلاً وضموراً هذه التسمية، لذلك مضالجهدا بتسمية مكشوفة آملين ان يحتاج لنا في المستقبل الاطلاع على مصادر قد تلفي شوا عليها.

ومن المهم جداً ان نلاحظ تقدم استعمال هذه الكلمة. ان انما استعملت لاول مرة في التاريخ الاسلامي - حسبنا تعلم - عند بدء ثورة الحسين بن علي بن يزيد بن معاوية. وذلك ان يزيد بن زياد - عامل يزيد على الكوفة - مدح هاني بن عروة المدي - احد شبيحة الحسين - وصريه ضحياً مبيحاً. وحين انذاره ان يبدا فقه، فأخبروا بذلك مسلم بن عقيل - الذي كان الحرس ارسله الى الكوفة ليستكشف له الوضع فيها. يقول المسمودي "ولما بلغ سلطان فعمل ابن زياد بهاني" امير منادياً فادي يا منصور، وكانت شمايم قنادي اهل الكوفة بها فاجتمع السب لني وقت واحد ثمانية عشر الف رجل^(٣).

(١) المباداة العربية ص ١٢٠. (٢) موج الذهب ص ١٣٥ - ١٣٦. (٣) راجع اشتقاق هذه الكلمة، ابن دريد وكتاب الاشتقاق ص ٢١ - ٢٠. ابن منظور، لسان العرب ج ٢ ص ٦٨.

جملة " يا منصور " اذا سحار الشيعة ه وكلهم كان يعلم بها . فميتي
عبد الشيعة بها يا تبي ؟ ومن اين جاءوا بها ؟ لستنا ندرى .
وهل كانوا يسمون بها شيئا ام هل كانت مجرد اسلحة سحرية هفام
عليه ؟ ولما اعلن المختار الثورة في الكوفة باسم ابن الحنفية استعمل
ابن هذا التعبير كاشارة للتفسير : ها هو يا امر اتباعه اعلان ذلك
قائلا " ثم يا سعيد بن مسقة فاضل في الهجاء والخيال ثم ارفعها
للمسلمين وتم انت يا سعيد الله بن سداد فناديا منصور امت وقم انت
يا مسفيان بن ليل واس يا قدامة بن مالك فناديا لثارات الحسين .^(١)
وهكذا اخذ اتباعه يرددون جملة " يا منصور امت " .^(٢)

وعندما اخذ اهل الكوفة يقعون زهدا بن علي بن الحسين بعدم الرجوع
الى المدينة والسنة عندهم ه قالوا فيما قالوا " فانا نرجو ان تكون المنصور
وان يكون هذا الزمان الزمان الذي يدعاه فيه بنو امية " .^(٣) ولا نقطع
ان نقطع في ان اهل الكوفة استعملوا كلمة (المنصور) بالمعنى
المهدوي ه ام بالمعنى الحادي (اي اسم متعلق بمعنى القائل من فعل
نصر يفتصر) ه يفتد

يقول المسمودي في معجم كلامه عن هشام بن عبد الملك " وسمي هشام
ابن عبد الملك بالمنصور وذلك انه ولد في الساعة التي ورد
الكتاب فيها بما كان من غيث مصعب بن الزبير فلما قدم ابو جنى
بسم السبه وخسب باسمه قال لست من اسمائنا بل منو باسم
جده لامه هشام ولقبوه المنصور فلم يزل علي ذلك حتى عهد اليه

(١) الصبي ه تاريخ الرسل والملوك ه النجدة الثانية ه ص ٦١٦ . البلاذري ه انساب الاشراف ه
ج ٥٥ ص ٢٢٥ .
(٢) الصبي ه تاريخ الرسل والملوك ه النجدة الثانية ه ص ٦٢٠ .
(٣) ابن الطحطافي ه الفهرست ه ص ١٥٢ .

يزيد فلقب بالتخصير من آل الله * (١) . فاذا يدعى بقوله ليس هذا من اسمائنا ؟؟ الا بتخير الى ان لهذا الاسم مثلا وما خاسا عند جماعة خاصة .

ومحمد ان قتل ابو جعفر (الخطبة العباسي الثاني) محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن ابي طالب الذي خرج في المدينة كهمدي - كما ذكرنا سابقا - وقتل تلك الحركة المهدوية النورية بقتل اخيه ابراهيم . بعد ذلك فلقب بالظصور (٢) . ثم منى فاصلة طكة - بغداد به الذي ابتاعها لنفسه مدينة الظصور (٣) . ونحن لا نميل الى اننا الى الافتقار بأنه حمل هذا اللقب عنوا . او انه بمعنى " المنصر " . بل انه منى تلك التسمية . نعم منى فيها الحسني باسم هذا الموعود بالنصر والذي لقبه بالظصور . ما منى شيئا عندما لقب ابنه وخليفته بلقب المهدى . وتلك العنارة التي قام بها . والتي جعل فيها من نفسه مثلا للجسوت والفرة والنسرة . ومن ابنه المهدى مثلا للرجة والعدل . الا تنحير التي شي . . شيئا انبعا تنحير الى كل شيء . . ونحن لا لم نقدم لقب الظصور على انه لا يعني غير " المنصر " . لا نستطيع ان نذكر انبعا مثل حركة الراءية . وهم قوم من خراسان قالوا بتناسي الاواح . خرج هؤلاء على الظصور بمدينة الهاشمية واحاطوا بنصرته وهم يقولون " هنا نصر ربنا " . فغضب الظصور لذلك ومجن بعضهم وقتل الآخرين (٤) .

- | | |
|------------------------------|------------------------------------|
| (١) التقييه والاشراف ص ٣٣٥ . | (٣) ابن الطقاني والغزالي ص ١٩٢ . |
| (٢) = = = ٣٤١ . | (٤) = = = ١٨٨ - ١٨٩ . |
| | ابن العيني نتائج ص ٢١٠ ، التوفيق ص |
| | لحق الشبهة ص ٤٦ - ٤٧ . |

وذكر الفيلسوف ان اتباع مذهب الراشدية قد اتخذوا لانفسهم نجمة امامية
تبدأ بالحساب هـ كما اخذ الشيعة نجمة تبدأ بحطى - ثم يسلمه عبيد
الله بن العباس ثم علي بن عبيد الله ثم محمد بن علي ثم ابراهيم ثم ابو العباس
السفاح ثم المنصور (١) فيكون المنصور في هذه النجمة هو المهدي
المنتظر .

بيد ان هذه المعلومات كلها لا تدلنا بصورة واضحة
باشعة عن استعمال كلمة المنصور بمعنى " المهدي " . وانما هو يحصل
على ذلك بصورة قطعية واحدة ليس في الاخبار التي وردت عن ابي هدى
او حركته او فكرة مهدوية في اي مكان ، اللهم الا في السجدة او
الحركات المهدوية التي قام بها الشيعة . فمن الاخبار التي وصلتنا من اليمن
في ذلك حين اليقين :

يقول الحميري (التوفيق سنة ٣٣٤) في محضر كلامه عن جبل دافع (او
وصول او مركبان) : " يقال انه جبل المنصور منصور حمير دل
على ذلك قول الحارث الرائي حيث يقول في صفات المنصور . ذكر
ذلك عبيد بن شربة الجهمي عن ما حفظه من اخبار حمير واسماهم
من سيدة له مولى وهي طرفة فقال عند منصور حمير

ومن مركبان يركب الارض عن يد	ودافع اعني ذا اللاحقة بدمر
فطحنها طحن الرمح بنقالها	بجهد يضيئ الحق منه وحصر

... ودامع هو ما بسى عنده ودمار كثير الانهار الجارية ... وفصوره كانت ثلاثة مشيدة في الصخور العظام ... هدم هذه الفصور الحبة في ايام ملكهم لسين واحرقوا لغشابة بالنار لعظمها . وقد قيل ان دامن هو الجبل الانحسب ... وانه يؤخذ ويحرق بعد خرابه الاول ويحرق دورا ومناظير^(١) . وقيل في مكان آخر من هذا الجبل : " وقد ان ذلك الجبل يحرق فيه اصل النار والخراب وتموى فيه الدواب ثم تعمى فيه الدواب وتنسب فيه الفصور ويحمل فيكون من اعمار الفصور . وسير سبن بدبه رجل من اهل كانه واجل بسى يدبه حاف مقل له مساج في طاعته نافذ في امسه . وتزال به الجبال من المهمل ويكون في اشهرها بالسين^(٢) ."

فهذا الفصور مؤبد . كامل النور . نور جبار . مبد اسم باسم جبل . ولقد كان في هذا اجبل ثلاث فصور مشيدة في الصخور العظام ثم هدمها احراقا . الا لمستطع اذا صح فدم هذه الرواية . بان هذا المحدث نسا ابان الاحتلال الجبسي للسين ذلك الاحتلال الذي حرق كثيرا في نفوس البغديين . سيما وقد تذكروا الحكم المسحق في ظل دولتي سبا وحمر الوصفتين . بدأ حكم الاحبار للسين في منتصف القرن الرابع الميلادي . ثم رفع اليمينيون عندهم هذا الفير (سنة ٢٢٥ م) بمساعدة الفير . وانتقام من الاحبار الفساحي اغبلت الامم في العاكف الجديدة على السدين اليهودي . ثم عاد الاحبار واحتلوا البلاد . وعاد الفير فحرقوها . (سنة ٥٢٠ م) وقوا فيها حتى دخلها الفاتحون المسلمون (سنة ٦٣١ م) .

(١) الاكليل ٥ ج ٨ ص ٥٨ - ٦٠ .

(٢) = = = ١١٨ - ١١٩ .

ونفي هذا المجتمع البغي كان من تدبير بالبدو والشمسية (اللسان
تعتقدان بظهور المظهر وجمعه على التماثل) والمبوسية (التي تؤمن
بكليةها) . وعلى هذه الصورة وبعد الاسلام السني^(١) . فلماذا لا
تتسرب فكرة " المظهر " هذه . من هذه الاثبات الثلاثة الى البغيين .
ثم مدونه تظاهرا بالفساد ، او مفسور حمير ، او مفسور الجين . وضالما
كان الفسور هم الذين خلاصوا الجين مرتين من نير الاحبار البغيين
فلماذا لا يفتخرون بهم كفتوحهم ، ان يفتخروا مخلصا فارسي . يقول النحوي
في مفسر حديثه عن عيد التمييز عند الفرس " وحكى ابن العنق انه كان
كر من عادتيهم ان ياتي الملك من الليل رجل رجل الوجه ، ند
ايضا لنا يفتخر . فيقول على السحاب حتى يتسرب . فاذا اصبح دخل
الملك من حمير . فتد ان . فاذا رآه الملك . يقول له : من انت ومن
ابن الملك وابن تقيد وما اسمك ولا نسي . وردت وما معك
فيقول : انا الضمير . واسمي الماوك ، ومن نيل الله انبئت .
والسيد السعيد ابدت ، وبالهدار واستمرمة وردت ، ونفي السنة الجديدة^(٢) .
فعلني يكون هذا " الضمير " مخلصا مفسرا عند الفرس . وهذا ان
يفسر لنا تصرف الازندية حبال ابي جعفر الضمير كما ذكرنا سابقا .
لسنا متأكدين ابدأ من هذا الوهم الذي ربما كان تصادبا . ولكنه
اذا سمع ، ففهم ان " الضمير " فسر قبل ان يظهر الاسلام . وهذا يكن
من امير قانا لا فخر مع ابدأ في هذه المسألة بل نتوكلها مسألة مكشوفة .

(١) المفسر في التفسير والانسباء ، ص ٢٧٤ .

(٢) نهاية الارب في فنون العرب ، (مطبعة دار الكتب المصرية بالناحية سنة ١٣٤٧-١٩٢٩) .

السر الاول ، ص ١٧٨ - ١٧٩ .

وإذا لم يصر دخول هذه النكسة الى السجين في عصور ما قبل الاسلام
فيكون دخولها في العصور الاسلامية هو العمل الوحيد . ومن الممكن
ان يكون قبل هذا في عهد اسلمي فيكون ثم حظها عبد الله بن مينا
فيما حصل معه اني انسان ...

يقول نيسوان بن سعيد الحميري (الغوي سنة ٥٢٣ هـ)
(١١١٢) في معبر كذا من كلمة العصور : " العصور لقب لغات
مقتطعة عند كثير من الناس وهو الممدى الذي تدعى كل فترة من
العهود ... وقالت حمير في سيرها الاخيرة من عائلتها هو رجل حميري
سبأى الابوين بعد الملك الذي سير بالعدل وقد ذكره اسعد بن وثير
منهم قال اسعد بن وثير بن واثع بن ...

ومن العجائب ان حمير سرق تعالى بالهدوء
وسودها اهل الحواشي من نصير او نصير

يعني النصير بن كانه وحيد فيش .

ونصيرها العصور من جيني ازال^(x) كالمصور
وهو الامام المرتضى المذکور من قدم الدهور

وقال اسعد

بمصر حمير المرتضى	يحد من الملك ما قد ذهب
وهو بالعدل سلطانها	على السنان في عهدا والعيب (xx)

(x) اسم صديقة في السجين (نص المعلوم ٥ مر ١٠) .

(xx) يجدر بنا ملاحظة مقالة هذا الممدى الدامة التي تحم النارجية بها وبها .

ونال تبع الانسين وهو ذو القرنين في سمر له ذكر نسبة النبي م
وتعبر راية المنصور بهم على رآه وآه بعد لام^(١).

فهذا مهدى يعني اقليبي منسوبي ه فالتعصب نسبة
بعد عرب الشمال ظاهر واضح ه انما نوة عرب الجنب على حكم
عرب الشمال . وما هو دهر بالذكر ان شامة بجانبه (الله سهل
ابن غالب الهجبي) اطلقت لقب المنصور هذا على محمد الرحمن بن^(٢)
الاشعث ه المنهدى البياني الذي تلفظ بلقب الفطاني ه كما ذكرنا سابقا .
(راجع ص ١٢٠ - ١٢١) . ونحن نستطيع ان نؤكد انه لا معرفة لهذا
المهدى (المنصور) بالقرن الشيعة . ونفسر نسبي من نسبي به
من دعاه مدييدهم او مدييدهم انفسهم او حتى مديي الالهية منهم^(٣)
على انه كان براءة سياسية من الشيعة (سيما الاسماعيليه) تصدوا
منها استغل هذا الاسم الذي كان مشهورا في اليمن على انه
اسم المظفر . يقول برنارد لويس^(٤) : " وهناك مثل آخر به لتعبر
الاسماعيليين هو ان الداعي الاسماعيلي ابن حوشب عندما ذهب الي

(١) شعر العلوم ص ٩٩٣ .

(٢) البلاذري ه انساب الاشراف ج ١١ ص ٣٢٤ .

(٣) كما فعل ابو القاسم الفجار الذي تلفظ بالمنصور . (ابن حزم ه كتاب الفصل ص ١٨٧) .

(٤) معتدا على : الفقيه المعتزلي مهدي الجبار بن محمد بن عبد الجبار ه كتاب تثبيت نبوة سيدنا
محمد (مخطوط في امطبول في مكتبة شهيد علي بانا برقم ١٥٧٥ هـ ورقة ١٢٣ ب)

السيين وجد ادلهما يعتقدون بظهور مهدى بعدى المنصور . فلم يعترضهم بل ابداهم . وهو لم يؤيدهم في الحجة الا ليعتد بهم هذه المنسوبة لسي صالح الاسماعيليين . وذكر عبد الجبار ان الداعي ومعد البائسين مذكور المهدى لسي السيين^(١) .

فالمقصود والحالة هذه هو مهدى سني . مثله مثل الفطاني والمسناني تماما .

(١) اصول ا. مطبوعة ص ١٩٦ - ١٩٧ .

الاحاديث المسندة وكسرة المهدية -

سارت الاحاديث المهدوية يتناقلها الناس بعضهم من بعض . واعتراها اناء ذلك ما يحتمى كسرة النسخ التي تسقط من على جبل بلجي . بدأت هذه الاحاديث وتناقلها الناس كل يضيف اليها حسب ما تنقضي نفسه . وتأخر ظهور المتهدين . وتلاشوا بعد ان تركوا انابهم بينة احيانا وغير بينة على كسرة الاحاديث هذه . ومن المعلوم ان الاحاديث المهدوية ^{تكن} للمهدية بهذا النسخ . الذي سارت عليه جميع الاحاديث . وبقيت الاحاديث المهدوية كغيرها . تتنقل من صديق اذ فواه حتى جاء الذين المجري الثالث الذي دونت فيه جميع الاحاديث .

ولم يذكر المهدى في صحيح البخاري (المتولى ٢٥٦)
ومسلم (المتولى ٢٦١) . كما لم يتعرض لهذا علماء الكلام السنين ^(١) . وهذا دليل على ان دور المروية المطية العالمة في اسلام السني لم يعبوا هذه الكسرة اى اهتمام . وما نفى من رجال الصالح السنة جميع لاة بعض الاحاديث المهدوية . وهم ابن طجة (المتولى ٢٢٣) وابو داود (المتولى سنة ٢٢٥) والترمذى (المتولى ٢٢١) . هذا ونجم من المحدثين الطبراني (المتولى ٣٦٠) والحاكم (المتولى) وابو يعلى الموصلي (المتولى ٣٠٧) ومجموعات هؤلاء السنة كانت المصدر الذي استعمله ابن خلدون في جمع مجموعته التي جاءنا بها ^(٢) . وما لا غنى عنه ان عدم ذكر البخاري ومسلم للاحاديث المهدوية مسألة لها مفراها . وما كان ذلك

(١) Macdonald, Encyc. of Islam, vol.III, art. AL-MAHDI, p.113

(٢) المقدمة . ص ٣١١ .

هو السبب الذي شجع ابن خلدون على تسمية الاحاديث المهدية . فنزلت
صاحبي الصحيحين في تفسيره نوح النفوس والشرك (١) . تقدم لنا ابن خلدون
في مجموعة الاحاديث هذه اربعة وعشرين حديثا و اضاف اليها ١٠ من اختلافات
ومن بين هذه الاحاديث الثلاثين لم تسم المخطوط باسم المهدى
الا اربعة عشر منها فقط . واقلية هذه الاحاديث السابعة وضعت على
لسان النبي . وبعضها على لسان علي .

والآن لنرى ما هي الصورة التي تعطي بنا اياها هذه المجموعة (التي جمعها
الذين يمكن ان نسميهم بأنهم نصف متشككين) . من الاحاديث المهدية .
ولقد سمعنا ان ذكرنا فسمنا من هذه الاحاديث (اعداد ص ٨٦ - ٨٧) .
١٢ - ١٣) . والآن لنفكر تلك الاحاديث جانيا . ندنا وضعت في مقدمة
مقدمة . ولقد سمعنا بتلك الاحاديث التي وضعت في شكل مبدع والتي بنيت قوة
لعالمة . فعلى منوالها خمس من خمس من المتقدمين . اي انها بنيت
قوة ذات خطر في التاريخ الاسلامي بعيد الفتن الثالث الهجري .

وتجبل ان نفعل ذلك علينا ان نعطي صورة نموذجية من هذه الاحاديث .
تضم معظم هذه الاحاديث عادة ثلاثة اقسام (١) القسم الاول = تحتل
الاحاديث المهدية عادة بنحوه على لسان النبي بما سيجم السلام من
بالا (٢) القسم الثاني = يشير هذا القسم بظهور المخلص . (٣) القسم
الثالث = وهذا يذكر الخيرات التي ستعم الناس في حكم هذا الخليفة
الضال . وكفيل على ذلك نورد هذين الحديثين : " قال رسول الله
صلعم لتعلن الارض جورا وظلما فاذا ملكت جورا وظلما بعث الله رجلا
من امتي اسمه امي واسم ابيه اسم ابي بلاءهما عدلا ونسطا

كما ملئت جوارا وظلما فلا تمنع السماء من قطرها شيئا ولا تدخر الأرض شيئا من نباتها . بلبت بكم مسجعا او ثانيا او تسعا يعني سنين .^(١)
 " قال رسول الله صلعم لا تقوم الساعة حتى تغلق الأرض جوارا وظلما
 وعدوانا ثم يخرج من اهل بسبي رجل يملاهما نسطا وهذا كما ملئت
 ظلما وعدوانا .^(٢)

من بين الحاديث المندرجة لا يوجد الا حديث واحد ينفي نكبة المهدي
 هذه . " لا مهدي الا عيسى بن مريم .^{(٣) (٤) (٥)} وقد امام هذا
 الحديث حديث آخر ينبت المهدي . " من كذب بالمهدي فقد كفر ومن
 كذب بالسجبال فقد كذب .^(٦) وذهب حديث آخر الى ان المهدي
 " حق .^(٥) وهناك احاديث تؤكد ظهوره بطبيعة اخرى : لو لم يبق من
 الدنيا الا يوم لظول الله ذلك اليوم . . . (حتى يظهر) و " لو لم
 يبق من الدهر الا يوم^(٧) . . . (لظهر) . وهذه صيغة ناسئة لهذا
 التاكيد . " لا تذهب الدنيا^(٨) او لا تقوم الساعة^(٩) . . . (حتى يظهر)

(١) المصدر نفسه ص ٣٢١ - ٣٢٢ .	(٦) المصدر نفسه ص ٣١٢ .
(٢) = = = ٣١٦ .	(٧) = = = ٣١٣ .
(٣) = = = ٣١٢ .	(٨) = = = ٣١٢ .
(٤) = = = ٣١٢ .	(٩) = = = ٣١١ و ٣١٦ .
(٥) = = = ٣١٤ .	

(٥) خلق القرطبي فيما بعد على هذا الحديث بقوله (التاكيد ص ٢٣١) " وهذا
 لا ينالني ما تقدم في احاديث المهدي لان معناه تعظيم شأن عيسى بن مريم
 من على المهدي اي انه لا مهدي الا عيسى لعظمته وكاله فلا ينالني وجود المهدي
 كقولهم ما بقي الا علي والله اعلم .

وهذه اشارات تشير الى الغد بظهور الهدى الى المستقبل البعيد .
وتحتمل ان نضيف اليها تلك التي يحين فيها النبي وقت ظهوره :
في آخر امتي^(١) او في آخر الزمان^(٢) .

يكون ظهور هذا الهدى عند حالة نوحى كمية تعم المسلمين . فيها :
تملا الارض جورا وظلما^(٣) . ا قال الجبل الله نزل^(٤) . وهنالك
اشارات ملحوظة الى هذه الحالة - هي رد فعل لحادث سياسي وقع
مكون لثمة لا يمكن طمأنة جانب الا تتأججر جانب^(٥)

ومعظم الاحاديث تلغى بالهدى . اما البقية فتشير اليه باشارات مختلفة .
كان تقول : يجل^(٦) او خطبة^(٧) او اميركم فلان^(٨) . وتذكر بعضها
ان اسمه هو نفس اسم النبي^(٩) ونسب بعضها ان اسم ابيه هو نفس اسم
اب النبي^(١٠) .

اما نسب هذا الهدى فهو : من ولد عبد المطلب^(١١) . او منا
اهل البيت^(١٢) او من اهل بيتي^(١٣) . او من متبتي^(١٤) او مني^(١٥) .
او من بني فاطمة^(١٦) . او من ولد فاطمة^(١٧) . او مخرج من علب
البحرين^(١٨) . وجبا الى جانب هذه الاشارات التي نعرضها

(٥)	المصدر نفسه ص ٢١٦	(١٠)	٢٢١٠٢١٢
(٦)	= = =	(١١)	٢١٩
(٣)	= = =	(١٢)	٢١٨٠٢١٥
(٤)	= = =	(١٣)	٢٢١٠٢١٦٠٢١٣٠٢١٢
(٥)	= = =	(١٤)	٢١٦
(٦)	= = =	(١٥)	٢١٥٠٢١٤٠٢١٢
(٧)	= = =	(١٦)	٢١٤
(٨)	= = =	(١٧)	٢١٤
(٩)	= = =	(١٨)	٢١٣

المهدي من آل البيت تشير اليه الاخرى بأنه من عامة السطاس دون
تخصيص : فهو من امي^(١) . او يخرج لني امي^(٢) .

اما صفات المهدي الجسائية فهي : بنه النبي في الخلق ولا
ينسبه في الخلق^(٣) . وهو اجلي الجيدة اني الافة . او اسم الافة
اني اجلي^(٤) .

اما مكان ظهوره : فعلاوة على الاماكن التي ذكرناها في العاضي :
الغسق : السين : المغرب : فهذا تعيين للملائين فقط : ينزل
على بيت المقدس^(٥) (هذا ينزل على فراز نزل المسيح) : او يخرج
من مكة^(٦) .

ودستوره الذي يدير عليه في حكم السطاس هو سنة النبي^(٧) . هذا
بينما يدير المهدي الامامي على سنة داود (راجع اعلاه ص ١١١) .
والمهدي احد سادات اهل الجنة : اما بقية السادات فهم النبي
وحزرة علي وجعفر والحسن والحسين^(٨) .

اما المدة التي سيطر : او يحمر : او يحل : او يلبث فيها فتختلف
بين حديث وآخر . فهي : سبع سنين^(٩) . خمسا او سبعا او
تسعا^(١٠) . ان قصر نسجهم والا قصم^(١١) . سبعا او ثمانيا .
سبعا او تسعا^(١٢) ان قصر نسجهم والا تسلسن والا قصم .

(١) المصدر نفسه ص ٣١٧	(٧) المصدر نفسه ص ٣١٧
(٢) = = = ٣١١	(٨) = = = ٣١١
(٣) = = = ٣١٢	(٩) = = = ٣١٧
(٤) = = = ٣١٥	(١٠) = = = ٣١٥
(٥) = = = ٣١٧	(١١) = = = ٣١٦
(٦) = = = ٣١٩	(١٢) = = = ٣١٦

عصا وانتبين . سبعا او ثمانيا او تسعا (١) .

والآن لنأت الى القصد (x) الذي سيرسل الله من اجله هذا المهدى . ونحن اذا استتبنا من هذه المجموعة حديثا واحدا ورد فيه عن المهدى انه * يضيئهم حتى يرجعوا الى الحق * . (٢) فلن لا رسالته رسالة رحمة نعم المؤمنين . يحكر المهدى النبي الذي نكلمنا عنه فلا ولنا ان احد الغايه هو " صاحب السيف " .

والعبارات التي تصف رسالة المهدى على نوعين . النوع الاول : بسيط . هذه الرسالة بايجاز ، * بعلاء الارض فسطا وهذا كما ملكت ظلمنا وجورا * (٣) . وهذه العبارات استعطت كثيرا في هذه المجموعة . كما استعطت في غيرها مع بعض التفسير البسيط . ومن الواضح ان عمل المهدى هذا كان استجابة لما كان يشعر به المسلمون - سيما الاثنياء والزهاد - من ظلم الحكام وخروجهم عن جماعة المسلمين المستقيم . ولم ينعجب هذا النوع كما نعره النوع الثاني لاي تفصيل لرسالة المهدى . ونحن لا نشك في ان هذا النوع كان اسبق - من حيث الزمن - من النوع الثاني . النوع الثاني : وهذا متأخر في الوقت . انه يشير الى الوقت الذي اتسعت فيه امبراطورية الاسلام وتباينت ثروات السائر . واخذت تتقدم عليه الطبقات المحرومة . لذلك اخذ دعاة المهدية . واخصام الخلافة .

(١) المصدر نفسه ، ص ٣٢١ .

(٢) = = = ٣٢١ .

(٣) = = = ٣١٣ + ٢١٥ + ٣١٦ .

(x) بواسطة دراسة الحديث المهدى نستطيع ان نتعرف الى حثية الاسباب التي كانت تدفع السائر الى الثورة . ألم تكن هذه الاحاديث البرام السبابة الاصلاحية التي كان يفتخروا بها مرشحو كرسي الخلافة واعوانهم الى الرأي العام الاسلامي .

يخونهم بأمانتي معمولة واحلام جميلة تظهر بشهود هذا الهدى ، " بجي .
 (الرجل) اليه لينقل يا هدى اعطني قال فيحثو له في نوبه ما استطاع
 ان يحميه ^(١) وهو " بحثو المال حثوا لا يمدده مددا " ^(٢) . او " ينقسم
 المال ولا يمدده " ^(٣) . و " لنقسم امتي فيه نعمة لم يسمعوها بمثلهما فط نوتي
 الارض اكثرا ولا تدخر منه شي " والمال يومئذ كدوس ليوم الرجل لينقل يا هدى
 اعطني لينقل خذ " ^(٤) . و " يسفبه الله الثبت وتخرج الارض فثابتها
 ومطى المال عجاجا وتكثر العائبة وتعظم الامنة " ^(٥) و " تنعم بها
 (مدة حكم الهدى) امتي نعمة لم يسمعوها بمثلهما ترمي السماء عليهم
 مدارا ولا تدخر الارض شيئا من انبات والمال كدوس يقوم الرجل ينقل
 يا هدى اعطني لينقل خذ " ^(٦) . وهناك احاديث جمعت بين التوسمين
 الاقل والثاني هكذا " ينزل الله عز وجل له الفطر من السماء وتخرج
 الارض بركتها وتملاء الارض منه تسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما " ^(٧)
 او " يظلمها عدلا وتسا كما ملئت جورا وظلما فلا تمنع السماء من فريها
 شيئا ولا تدخر الارض شيئا من نباتها " ^(٨) . ولا يخفى على احد ان
 هذه الرموز الجميلة - التي لم تنفذ قط - التي كان بكيلها دماء
 الحديدية - بل دماء الخروع لجميع النعم الساذجة البسيطة - نعم
 الجموع المدبورة ! ومما كان يزيد في حطه هؤلاء الجاهلين ذلك الرموز
 بالانجاز السريع لهذا الرموز . فهذا الهدى // " يحط الله به
 في ليلة " ^(٩) . نعم ليلة واحدة - وكل شيء يندسي .

(٦) المصدر نفسه ص ٣٢١ .

(٧) = = = ٣١٢ .

(٨) = = = ٣٢١ .

(٩) = = = ٣١٨ .

(١) المصدر نفسه ص ٣١٥ .

(٢) = = = ٣١٦ .

(٣) = = = ٣١٦ .

(٤) = = = ٣١٥ .

(٥) = = = ٣١٦ .

وهكذا دخلت احاديث المهدى في الكتب الصحيحة . ولم يكن على الذين
تمسكوا بهم انفسهم الخروج على الدولة الا ان يدعوا امام الناس ان هذا
الحديث المهدوي او ذاك ينطبق عليهم . واما مسألة ائمة الاثنى عشر
لا البيت فامرهم بغير جد .^(x)

ان مجموعة الاحاديث التي جمعها لنا ابن خلدون من
هؤلاء الستة تكون نفسا من الاحاديث المهدوية التي كانت تتناقلها الناس
ولكنها لم تضم ههنا جميع الاحاديث . هؤلاء الستة تشددوا بعض التشدد لا
لذلك لم ندمو مجموعاتهم جميع الاحاديث المهدوية التي كانت تتناقلها
الناس في الاجمال . وما لا شك فيه ان كثيرا من الاحاديث
المهدوية ضاعت لعدم تدوينها نتيجة لشحك كتب الحديث في صحتها .

غير ان بعض الجمع الغير متشددين ، وكتاب الاساطير
نقلوا لنا بعض هذه الاحاديث التي لولاهم لم نعلم لها على انهم كما
نعمل العبد من بن الطاهر المندمي في كتابه البدء والنهاية الذي انه
سنة ٣٥٥ هـ . انه جاءنا بمجموعة لا بأس بها ، مع انه لا يسطر
بمحدثها كلها . ومن الجدير بالذكر اننا في مجموعة الطاهر هذه نرى
ان شخصيات الدانسي والسنياني والمهدي والنطاسي قد اصبحت شخصيات
مستقلة لكل منها علاقة بالآخر . كما اصبحت كلها من فلاحات (او
انجازات) الساسة . هذا وتحويت بعض هذه الشخصيات المهدوية لاصبحت
تقوم بدور الهجال المظنون الذي يستحق محاربة المهدي له وتطهير الارض

(x) واجمع سيرة المهدي ابن تومرت (٤٢٠ - ٤٨٠ - ٥٢٤ هـ) : محيي
الدين المراكشي ، تاريخ الافندلس ، ص ١١٥ وما بعدها .

منه (١).

ولقد أجهد كتاب المسلمين ومحمد بنهم أنفسهم في حل ورطة أولئك
بداء الصوفى : ولأنه هذا الهدى بمبى . ولقد نشأ الاعتقاد بجمعة
المسيح قبل أن ينشأ الاعتقاد بظهور الهدى . ولما كانت ردة التمسك
نسيئة مشابهة . لذلك وقع هذا الاختلاف الذى بدور حول مشككين :
أيهما يظهر أولا . وإيهما أفضل من صاحبه .
(x)

والآن لننتقل إلى مجموعة هامة من الأحاديث المروية
تلك المجموعة التي جمعتها الأمام أبو عبد الله الفريسي (المتوفى ٦٧٤ =
١٢٧٢) والتي وصلتنا مختصرة اختصرها عبد الوهاب الشاذلي (المتوفى
٩٧٢ = ١٥٦٥) . يقول مكرونالد أن ابن خلدون قد رأى بنفسه من مجموعها
في مجموعة الأحاديث التي جمعتها .^(٢) والواقع أن هذه المجموعة تضم كثيرا
من الأحاديث التي ضمتها مجموعة ابن خلدون . ولقد انشأت عليها أحاديث
تهدت حديثنا استجابة لسواد هامة من هذا العالم الاسلامي .

نصف تدوين الأحاديث في الكتب المستظهرة في العالم الاسلامي - علاوة
على ظهور الهدى الفاسي وابن تومرت والأحاديث المتعلقة بهما . والتي
كان من نتيجتهما وجود أحاديث تفصل ظهور الهدى في المغرب - كما

(١) الطهر القندي . البدء والتاريخ . ج ٢ . ص ١١١ - ١١٢ . ١٧٠ - ١٧٤ - ١٨٤ .

(٢) Encyc. Of Islam, vol. III, art. ALMAHDI, p. 113

(x) لقد أوجع Hurgronje هذه المسألة مناهة كثيرة . راجع ذلك Vers. Geschriftten, vol. I, p. 158 - 162, 165 - 6.

حادثان هاما جدا تركا اثرهما في الاحاديث المهدوية : الحبيب الصليبي ،
وتفقد الملمين المستمر امام النصارى في اسبانيا . والفرسي اندلسي مات
في وقت لم يكن للمسلمين فيه بالاندلس غير غناطيه . وكما يقول مكرونالد
لقد استنصر المسلمون حاجتهم الى مهدي ائمة من المسيح . لقد طالب
الوضع بظلا او مخلصا اسلاميا صريحا ، غير المسيحي الذي كانت يهتبه
قتل السدجال ^(١) .

وعالما تبدل الوضع آن ، واصبحت الاحوال غير الاحوال ، وطالما ان الحائفة التي
اصبح بجانبها المسلمون اليوم ، اصبحت غير تلك التي كانوا قبلها ، فلماذا
لا يتغير مفهوم هذا المهدي . لقد كانت رسالتك في الماضي " مظهر يملأ"
الارض عدلا كما حدثت جوارا " او الاتيان بالخيريات او قتل السلياني ومن معه
من الكهنيين ... ولكن ما نفع هذا كله اليوم .. لم يتخلد المسلمون
من هذه الاحاديث ، بل ابتوا عليها ، والى جانبها ظهرت الاحاديث التي
اخذت تصور المهدي بعمرته الجديدة ، وعكسا اصبح المهدي بظلا
اسلاميا ضد النصارى . وبدلا من ان يحصل مكة او المدينة او ...
اصبح عليه ان يدخل روما والنسطنطينية . وبدلا من ان يظهر من المشرق
او سوريا او الحجاز ، اصبح لزاما عليه ان يظهر في المغرب .
ومن البديهي ان هذه المجموعة ، كما نقدها ، لم تتكون في مشقة وضحاها ،
ولا نعتقد ان القوي خلفها من وحى الخيال . وانما قد تكونت وتجمعت
في مدة طويلة واشتركت في حيكها عدة اساطير قديمة . ولقد
جمعها القوي . جمع معها المجموعة بل المجموعات ، القديمة لهدت
تلك الكمية الثلجية التي يراها المختار قبل ستة قرون ، جهلا ضحا .

وقبل ان نعرض الصورة التي نعرضها اياها مجوعة الفرائسي - التي هي تعبير عن تصور الفكرة في المذهب والاندرلس - علينا ان نلفت النظر الى اننا نوضح لهذه الفكرة في بلاد مسنة . هذا وسواء لا تعبر الى اهتمام للاحاديث الشريفة الجديدة (*) التي نسخها الفوطي في مجوعته . ولقد سبق لنا اننا ان اردنا ان ابدينا بهم الاهتمام تجاه بعض نواحيها سيما فيما يختص باحاديث السني . وما هو جديد بالذكر ان جميع الاحاديث الممدومة التي جاء بها الفوطي تشير الى ان المذهب - سيكون من اهل البيت .

والآن نحاول انشاء صورة من هذه الاحاديث الممدومة التي كانت نتيجة للحزب المسيحية ولاندلس في الاندلس ، حيث اصبح الممدوم بطرلا فاعدا بفكر بلاد الكفار ولتحدثا ، * وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال - خفف بعضي جزيئة تسلي بالاندلس فتغلب عليه من اهل الكفر يأخذون اموالهم واكثر بلادهم ويسبون نساءهم واولادهم ويمشون الاستار ويمشون الدبلج وتخرج اكثر البلاد يافى وللبا وتدخل اكثر الناس من ديارهم واموالهم يأخذون اكثر الجزية ولا يدي الا الله ما يكون في المذهب الفرج والخوف وستولى عليهم الجوع والخلل وتكثر الفتنة يأكل الناس بعضهم بعضا فعند ذلك يخرج رجل من المذهب الانصبي من ولد فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الممدوم الغائب في آخر الزمان وهو اول اسباط السامة * ثم يتابع الفوطي قوله فيقول ، * وقد نساءدنا جميع هذه الامور وعايناهما في بلادنا الا خرون الممدوم (١) . وهذا الحديث - كما هو ظاهر للعيان - وضع كرد فعل لدعوة المسلمين في

(١) التذكرة ، ص ٢٣٣ .

(*) للاطلاع على هذه الاحاديث واجم التذكرة ص ٢٢٩ - ٢٣٣ .

الانديلس . ولكنه لا يذكر في هذا الحديث كلمة تحرير الانديلس . بل يرجح* ذلك لحديث توفيتي بحال ان يوجد نسبة مدة وجهك نظير (احاديث) مختلفة . يخرج المحدث ومن معه (الظاهر ان خوجه هنا من المشرق) واتى الى مدينة اناكبة* بكبيرين* عليها ثلاث تكسيروت^(x) . فبهم - وربما في الحضر بقية الله* ثم يحمل المسلمون المذهب والسبي في هذه المدينة وينهبونها الملبس* وتعمر بمعاينة اهل ا- س- م* ويقتلون بعدها القسطنطينية^(xx) . وربما^(xxx) . وكبسة الذهب . حيث يستورد المحدثي الكثر والاموال التي تهبها ملك السوم فيخرج من بيت المقدس . وهناك يترك القوطسي الكلام من المحدثي متكلم عن القدس وكيف بناها سليمان على يد الجن في حديث طويل ويتنقل الى الكمام من نهر الفس وتهيئها على يد يختصر ثم من الاسر البابلي وكيف ان الله انقذهم منه على يد ملك من ملوك الفرس . الذي رد اليهم اموالهم . ولكن بنى اسرائيل خالفوا ما عاهدوا الله عليه وهدموا الهيكل المعاصي* وهكذا سلبت عليهم ملك السوم فيصرقواهم ودمروهم ونهب كنوز بيت المقدس وادبرها كيسة الذهب . حيث سبى الى ان يستورد المحدثي^(١) . والامر اليهودي في هذه الاحاديث

(x) التذكرة ص ٢٣٣ - ٢٣٥ .

(x) لاحظ علاقة ذلك بالخرواثة اليهودية القديمة من سقوط اسوار القدس على اثر الخراب في الابواب .

(xx) مما هو جدير بالذكر هنا ان فتح القسطنطينية اصبحت من اشراط الساعة (راجع العهد المقدسي .

الهدى والتاريخ ج ١ ص ١٨٤ وما بعدها . تذكرة القبطي ص ٢٣٦) .

والظاهر ان تفتح هذه المدينة امام المسلمين العرب ثم هجماتهم اضرهم ومساعدتهم للصليبيين

غير في قلوبهم كرها شديدا لها . ففي خرواثة يهود ابن الفقيه (كتاب البلدان ص ١٤٦ - ١٤٧)

فلا من كتب الاخبار ان القسطنطينية شملت متجربة بخراب بيت المقدس فانقصر الله للثانية ونهب

من الاولى ووعدها العذاب قبل يوم القيامة قائلا " عزتي وجلالي لا تمن حليك وحريك وخمرك وخميرك

ولا تركك لا يصح ليك ذلك . . . فانه طال ما اشرك بي فبك وفقدت فيي* ثم تعد هذه الخرافة

المسلمين بفتحها والامتناع على كرها . (xxx) هنالك خرافة قديمة تاتي ان ياتي يوما لا وضع فيها

تمثال معارب عيسى وقال لهم " لاتعاقبوا على دينكم حتى ياتيكم قوم على هذه الصفة لهم الذين يفتخرون بها

(ابن الفقيه كتاب البلدان ص ١٤٦) .

لا يحتاج السى الى توضيح او تفسير . هذا وعند الفرصى بابا آخر
لا ذكر فيه للمهدى . يذكر فيه مطلقا كعبية فتح القسطنطينية ومعدن
الكثير وانجيرات والسجيا التي سجنتمها المسلمون ^(١) . والسى ربما كانت
من خروج السدابة التي استعملها المسلمون في السدابة للحرب في
الحروب السلطانية . واخيرا محمود الفرسي (او محمود بن اسطوخودوس
التوليبي) الى الاندلس . فقد سبق لعثمان بن عفان ان اخبر ان فتح
القسطنطينية سيكون من قبل الاندلس . وقبل ان تنجح قصة ذلك يذكر
(الفرصى) انه اوضح نفسه في ما روى (قنصر) حين . يقول " حدثت
ابي مرة اول الباب بحدل على انما (اى القسطنطينية) تنجح بالنبال .
وحديثا بن طاجه بحدل على انما تنجح بغير ذلك . ولعل فتح المهدى
لها يكون مرتين مرة بالنبال ومرة بالتكبير . نعم لقد لاحظ القنصر
بخصوص فتحها بالنبال او بالتكبير . ولكنه لم يلاحظ انه ذكر انما تنجح مرة
من طريق الشرق واخرى من طريق المغرب .^١ ومما يكن من امر
" فان المهدى اذا خرج بالمغرب انما هو السجى اعلى الاندلس فيقولون
يا ولى الله انما جزيرة الاندلس فقد تلت وتلك اهلها وتغلب
عليه اهل الكفر والشرك من ابنة السوم " وهكذا انما تنضم الى
المهدى جميع قبائل المغرب " فيمضون البحر حتى يتدوا الى مصر
وهي انسيبيلة فيمعدن المهدى المستقر في المسجد الجامع ويطلب خطبة
بليغة بانى الله اهل الاندلس فياجعون جرحل اهل الاسلام لهما ثم
تخرج بجميع المسلمين فوجهما الى بلاد السوم لفتح لهما مسجدين مسددين من
مدائن السوم . . . ثم انه ومن معه يصلون الى كيسة الذهب ليجدون
لها اموالا عظيمة يأخذها المهدى لهما بين الناس بالسوة . . . "

ثم يأخذ الفوضيبي في وصف هذه الخصائص ، ونبأه يهتفي ذكر المهدي من حديثه ويستعمل في وصف هذه الأساليب ، وكيف أن المسلمين إذا اختلفوا فلي تشبهنا ، فقدم الله سر مرقى . ثم يهدي تلك الرحلة في مصو دون أن يذكر شيئا من النتيجة الحسنة التي وصل اليها العالم الإسلامي نعمت أصل راية المهدي .^(١)

الفرق بين الشيعة (للمهدي) الشيعية والسنية :

ما تقدم نرى أنه كان بين أهل السنة ، كما كان بين أهل الشيعة ، اعتماد بهذا المهدي . وفيما من كون الفكرة السنية تد تأخر كثيرا بفكرة الشيعة عن هذا المهدي ، فإنا نرى في هذا فاحشا إذا لم نستأنح أن نصير بين الشيعة والسنية لفكرة المهدي ،

(١) - علاهيات المهدي . - ما تقدم - سيما من دراسة الاحاديث التي جمعها الكليني - يذكر أن الشيعة رجعوا كثيرا من ليلة مديهم . لقد تشبهوا إليه ندوة نفس السنية ، فلو محسوم ، ورسالة هي استنوار للوحى الالهى الذى كان يهبط على محمد . وحتى أنه قد يأتي بأشياء تنسخ ما جاء به النبي - كما قالت الاسطورية . ويرا أهل السنة بفكرة مضمرة أحد فير الانبياء^(X) . فرسالة المهدي عندهم لا تعتمد المسرطى

(١) التذكرة ، ص ٢٤٦ - ٢٢٧ .

(X) ولهم عند الخزالي لمائة معصية الامام في امكة كثيرة مثيرة من كتابه ، "فرائح الباطنية" فني ص ٧٥ . مثلا . يفل " لا يظن ظان انا نشير في الامامة المعصية فان العلم اختلفوا في حملوا للانبياء والاكثون على الدم لم يحموا من الضائر ."

سنة النبي ، او احب هذه السنة التي مدت مبدأ عوادي الزمان^(١) .

(٢) - اعتقاد بالمهدي . - فالاعتقاد بعد عام بين جميع حسابات التسبعة بل هو من الاعتقادات الاساسية جدا عندهم ، ويؤكد عليه كبار علماءهم . هذا بينما لم يمتد اعتقاد بالمهدي عند أهل السنة جملة الشيعة وحتى عند هذه الجيرة لم يمتد عند الاماني ، ولم يصل قدا الى حمد اعتقادات الطائفة الاساسية^(٢) .

وهذا الموضوع يفتربنا الى بحث مسألة علاقة كبار رجال العلم السنيين من هذه الكفة .

لم يتعرض المؤرخون لهذه الكفة ، انما كانوا يدنون حوادث ظهور هذا الشهدى او ذاك ، او يتذكرون هذا الحدث المحدثى او ذاك بطريق مكتوبة دون ان يمتدوا على عحة هذه الكفة او عدم سحتها . هذا ولم يذكر البخارى وصلى الله عليه وسلم في صحيحه ابا من الاحاديث المندوة . وكذلك لم يتعرض لهذا احد علماء الكلام السنيين ، حتى في معروف كلامهم من السامعة ونسائتها^(٣) .

(١) راجع ، Macdonald, Encyc. of Islam, vol.III, art. AL-MAHDI, p. 112 - 113.

(٢) راجع : رولندسن عقيدة الشيعة ، ص ٢٢٢ . Grunebaum, Med. Islam, p. 194.

Macdonald, Encyc. of Islam, vo.III, art. AL-MAHDI, p.113(٢)

علماء السنة ونقد الفكية ١ -

غير ان ذلك لا يعني انهم لم يسيروا على النهج
الناجحة من اهل السنة من نقد هذه الفكية . فهذا ابو العلاء المعري
يقول في الامام المنتظم :

يرتبي الناس ان يقوم امام
فاطولي الكفة الخرساء
كذب الظن لا امام سوى العسفل مشيوا في جهه والهاء (١)

ولكن بمستطیع قائل ان يقول ان نقد المعري ليس ذاعا بفكرة الهدى
العامة بل هو نقد لفكرة الهدى عند الشيعة الاسماعيلية (الامام الناطق)
وهذا صحيح . ومن هذا المنوع نستطيع ان نعدد نقد (او تكلم) الغزالي
للفكية انتظام الامويين او الراوندية او الهاظية لاصحابهم . انه نقد مبعثه
التعصب المذموم (٢) . ولكننا لا نستطيع ان نعتبر نقد ابن خلدون من هذا
النوع .

يبدأ ابن خلدون حديثه عن الهدى (او اللاطي كما
يسميه) بقوله : اعلم ان في المنصور بين القافة من اهل الاسلام على
مرادعنا انه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من اهل السبب
يوئيد اندس ويد من العدل وينجيه المسلمون ويستولي على الممالك الاسلامية
وسمي بالهدى ويكون خروج الدجال وما يردده من اشراط الساعة
الثامنة في الصحيح على اثره وان يمسى يسنزل من بعده ليفعل السبب
او يخرل منه يساعد على فطره وانتم بالهدى في صلاته . (٣)

(١) فضائح الباطنية ص ١٤ . (٢) المقدمة ص ٣١١ .

(٣) للاطلاع على منهجه طالع بن عبد الله والفكر والجمع : باقوته معجم الادباء ج ١ ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .

بهذه العبارات يقدم لنا ابن خلدون موضوع الممدى . ثم يأخذ نسي
محمود الاحمدية الممدوية يفتدوها واحدا واحدا حسب التسمية القديمة
نسي نقد الحديث : نقد الدولة . وبعد ان ينتهي من ذلك يفتد
في صفة نسبة هذه الفكرة التي النبي بقوله : " فمدى بوملة الاحاديث
التي خرجوها اذمنة في شأن الممدى وخروجها آخر انزال وهي كما
رأيت لم يخل من ممدى النقد الا القليل والافضل منه .^(١) وبعد ذلك
يختص النبي الكلام عن فكرة الممدى في التصوف حيث يذكر منذ البدء
افهم - الصوفيين - اخذوها من الشيعة^(٢) . وكما نرى في صفة
نسبة هذه الفكرة التي انبثقت في كذا لك نرى ان نوايا السدين كانوا يسمعون
حركات اصلا في سطر افنديها بادعاء الجدانية . وكانهم من غيرهم
من المصلحين الذين لم يدعوا ذلك بقوله " وقد كانت بالعرب لهذه
العصور الفرية نزعة من الدعاة التي الحق واللباب بالنسبة لا يتحملون لها
هو دعوة فاسي ولا فسيه^(٣) . ونحن ان فكبر في ابن خلدون جبرائيل
على نقد هذه الفكرة التي كان الايمان بها عاما . وحسن عرضه لاقتدار
اهل زمانه بها . غير اننا نؤكد ان لهم لاهية هذه الفكرة كان
ناهما جدا .

خاتمة واعتذار :-

هذه قصة فكرة الممدى . تلك القصة التي بدأها /
المختار كدافعة مسيامية بدل بواسطة التي كرسى الحكم . والتي انتهى

(١) المقدمة ص ٣٢٢ .

(٢) = ٣٢٢ - ٣٢٣ . (٣) المقدمة ص ٣٢٩ .

بهذا الصنف بأن أصبحت - كما وسخفا Hurgonje .^(١) شاعرا
دينية مدفدة جدا .^(٢) غير أن دخولها حيز الفكر الديني الصريح لم
يقتضها حاجتها السياسي ، إذ انما استغبر منذ نشأتها حتى
اباننا هذه ذات خير كبير في الميدان السياسي .^(٣) نعم ، استغرت
لنفسها دنا على انفسنا اننا لا نزال اطفالا في الميدان السياسي . ولما
نميل الى القول مع احمد امين ان هذه الفكرة كانت سببا ليعا اصاب
المسلمين من الجاربا .^(٤) بل المسبب اعنى من ذلك : انما العقلية المثلثة
التي تهيئت هذه الفكرة وامثالها من الصفات ، العقلية التي لم تستلم
الى الآن ان تفرق بين شيئين متناقضين : الديني و السياسي .^(٥) والواقع
ان وصف المحدثى هذه خير عبء لما فانه المستقيم الاسطمي من جهة
التميز بين الدين والسياسة ، اليمتصير الوا الالباب .

وفيل ان اندي هذه الخصائص ، ارى لزما علمي ان
اتقدم بالاعتذار لما ابدته من تفسير كبير لى اهلنا هذا الموضوع الجوهرى
خلفه : لغزوة من تفسير في بحث المواضيع التي طرقتنا ، لقد تركت
ليتمولا كاملة لوما فيمتدا في دراسة هذا الموضوع ، كعلاقة الدوليين
بالفكرة .^(٦) والدور الهائل الذي لعبته الشيوعية .^(٧) والاعلمية في تطويرها .

(١) Vers. Geschriften, vol. I, p. 172

(٢) ولجم ثان قلوب و السيادة العربية ، ص ١٠٩ .

(٣) راجع صفي اذا سلام ، ص ٣ ، ص ٢٤٣ - ٢٤٦ .

(٤) راجع ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٣١١ - ٣١٢ - ٣١٣ . ابن حزم كتاب الفصل في ١٨٠ .
Browne, A Lit. Hist. of Persia, vol. III, p. 465 - 70

(٥) مثلا واحد الاحاديث التي يرويها الكلبني (اصل الكافي ص ١٩٢) يذكر من ابن ابي يعقوب

قال سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول : ويل لطغاة العرب من امرئ اذا اقترب قلت جعلت له ان

كم مع الظالم من العرب . قال فذكر يمين قلت والله ان من يحد الا امر منهم لكثير قال لا بد

لنفسهم ان يحسبوا ويميزوا ويخيلوا ويختاروا في الغيال خلق كبير .

((القسم الرابع))

— — — — —

•

أولاً : - المصادر العلمية -

- (١) - ابن الأثير . (القولي ٦٠٦ هـ) : (أ) الكامل في التاريخ . (نشر كازان
يوهانس ترونيج . مطبعة بريل . ليدن ١٨٦٦ م) . (ب) النهاية في غريب
الحديث والآثار . (طبع مصر ١٣١١ هـ) .
- (٢) - الأصبهاني . أبو الفرج (القولي ٣٥٦ هـ) . الغني . (تصحيح النسخ أحمد
الشفيعي . مطبعة النظم . مصر .) .
- (٣) - البغدادى . (القولي ٤٢٩ هـ) . الفرق بين الفري . (نشر محمد بدره
مطبعة المعارف . مصر . ١٣٢٨ هـ - ١٩١٠ م) .
- (٤) - البغدادى . الشيخ عبد القادر بن عمر (القولي ١٠٩٠ هـ) . غزاة الأدب .
(المطبعة المسيية . بيولاى .) .
- (٥) - البيهقي . (القولي ٤٤٨ هـ) . آثار الباقية . (نشر م . ادوارد سخو .
ليبيزج ١٨٧٨ م) .
- (٦) - البلاذري . (القولي ٢٧٩ هـ) . انساب الاشراف . (أ) الجزء الرابع هـ
القم الثاني - (نشر ماكس شلوسنجر . مطبعة الجامعة المسيية . القدس .
١٩٣٨ م) . (ب) الجزء الخامس . (نشر م . د . ف . هـ . ف . هـ .
مطبعة الجامعة المسيية . القدس . ١٩٣٦ م) . (ج) الجزء الحادى عشر .
(نشر الواردت . ليبيزج . ١٨٨٣ م) .
- (٧) - الثعلبي . (القولي ٤٢٧ - ٤٣٧ هـ ؟) . تفسير الانبياء . (مطبعة المكتبة
النجارية الكبرى . مصر . ١٣٠١ هـ) .
- (٨) - ابن حزم . (القولي ٤٥٦ هـ) . الفصل في المل والأموه والنمل . (طبع مصر .
١٣٢١ هـ) .

- (٩) - الحميرى • نشوان بن سميد • (المتوفى ٥٢٣ هـ) • منتديات من
كتاب شمس العلوم • (نشر عظيم الدين احمد • مطبعة بريل •
لسدن • ١٩١٦ م) •
- (١٠) - ابن خلدون • (المتوفى ٨٠٨ هـ) • (أ) المقدمة • (مصر)
(ب) كتاب المسير • (المطبعة المصرية • بولاق • ١٢٨٤ هـ) •
- (١١) - ابن دريد • (المتوفى ٣٢١ هـ) • الاشتقاق • (نشر فردنان وستنلد •
غوتنغن • ١٨٥٤ م) •
- (١٢) - ابن سعد • (المتوفى ٢٣٠ هـ) • الطبقات الكبير • (تصحيح وطبع
ادوار سخو • مطبعة بريل • لسدن • ١٣٢٢ هـ) •
- (١٣) - الطبري • (المتوفى ٣١٠ هـ) • تاريخ الرسل والملوك • (نشر
دى غويه • لسدن • ١٨٢٩ - ١٩٠١ م) •
- (١٤) - ابن الطائفي • (المتوفى ٢٠١ هـ) • الفخري في الاداب السلطانية •
(نشر الوارث • فريزلزولد • ١٨٥٨ م) •
- (١٥) - ابن مبرد ريد • (المتوفى ٣٢٨ هـ) • المند الفريد • (مطبعة
مصر) •
- (١٦) - ابن العبري • (المتوفى ٦٨٥ هـ) • تاريخ مختصر الدول • (نشر
الاب انطون صالحاني اليسوي • المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين •
بيروت • ١٨٩٠ م) •
- (١٧) - الفزالي • (المتوفى ٥٠٥ هـ) • فضائح الباطنية • (نشر اجناس
جولسد تمبيهر • لسدن • ١٩١٦ م) •

- (١٨) - ابن الفقيه • (المتوفى ٢٩٠ هـ) • مختصر كتاب البلدان • (نشر دى غوبه •
بريل • لندن • ١٣٠٢ هـ = ١٨٨٥ م) •
- (١٩) - الفوطي • (المتوفى ٦٧١ هـ) • التذكية - وحلقنا مختصية • اختصرها
عبد الوهاب الشدياني (المتوفى ٩٧٣ هـ) - (طبعة مصر •) •
- (٢٠) - النزويني • (المتوفى ٦٨٢ هـ) • آثار السيلاد واخبار البحار • (نشر
لورد بناند وستفالد • فونتن • ١٨٤٨ م) •
- (٢١) - كبير عزة • (المتوفى ١٠٥٠ هـ) • ديوانه • (جمع ونشر الشيخ هنري
بييرس • مطبعة جول كروزل • الجزائر • ١١٢٨ م) •
- (٢٢) - الكسبي • (المتوفى ٣٢٨ هـ) • اصل الكافي • (طبعة لايس • ١٣١١ هـ) •
- (٢٣) - المراكسي • معي الدين بن علي النسيبي • تاريخ الاندلس (الف ٦٦١ هـ) •
(طبعة السمادة • مصر • ١٣٢٤ هـ) •
- (٢٤) - المسمودي • (المتوفى ٣٤٥ - ٦ هـ) • (١) مير الحذهب • (نشر
وترجمة من • بربري دو مينار وباني دو كوتي • باريس • ١٨٦١ - ١٨٧٦ م) •
(ب) التنبيه والانسياف • (نشر دى غوبه • مطبعة بريل • لندن • ١٨٩٣ م) •
- (٢٥) - المفديسي • العطر بن العطر • البدع والتاريخ (الف ٣٥٥ هـ) • (نشر
كلان هوار • باريس • ١٨٩٩ - ١٩١٩ م) •
- (٢٦) - المفديسي • (المتوفى ٤٠٠ هـ ؟) • احسن التقاسيم • (نشر دى غوبه •
مطبعة بريل • لندن • ١٩٠٦ م) •
- (٢٧) - ابن منظور • (المتوفى ٧١١ هـ) • لسان العرب • (المطبعة الكبرى الميمنية •
بولاق • مصر • ١٣٠٠ هـ) •

- (٢٨) - النويدتي • (القولي ٣١٠ هـ) • نريق الشريعة • (غني بتصحيحه هـ •
ريستر • مطبعة الدولة • أمسترايل • ١٩٣١ م) •
- (٢٩) - الهمداني • (القولي ٣٣٤ هـ) • الاكبل - الجزء الثامن - حشره وخلق
على حواشيه نبيه امين فارس • هرنستن • ١٩٤٠ م) •
- (٣٠) - يافوت • (القولي ٦٢٦ هـ) • (ا) معجم الادباء • (نشر د . س . مجليوت •
مطبعة هندية • مصر • ١٩٢٣ م) • (ب) معجم البلدان • (نشر فرديناند •
وستنلاند • ليبزج • ١٨٦٩ م) •
- (٣١) - البغوي • (القولي ٢٨٤ هـ) • تاريخ • (نشر هونسا • مطبعة بريل •
لندن • ١٨٨٣ م) •

ثانياً : - المصادر الثانوية -

(ا) الرئيسية -

- (١) - امين • احمد • غدي الاسلام • (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر •
القاهرة • ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٦ م) •
- (٢) - جوزي • بندي • تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام • مطبعة بيت القدس •
القدس • ١٩٢٨ م) •

(ب) المساعدة -

- (١) - جولد تيدر • اجناس • العقيدة والتسمية في الاسلام • (نقله الى
المربية وخلق عليه • محمد يوسف موسى • عبد العزيز عبد الحملي •
طلي حسن عبد النادر • طبع دار الكتاب المصري • القاهرة • ١٩٤٦ م) •